الباب الثاني والثالث من كتاب الخوئي

الباب الثاني:

الفصل الأول: ولادة الخوئي وهجرته الى العراق

الظروف السياسية والثقافية عند هجرة الخوئي للنجف

ف 2 ما هو مفهوم الخوئي للاجتهاد؟

ف 3 الأجواء الثقافية المحيطة بالخوئي والمؤثرة في فكره العقدي

الباب الثالث: **الخوئي بين الاجتهاد والتقليد في علم الرجال**

ف1 الخوئي: ثورة على الاخباريين

ف 2 ملاحظات على منهج الخوئي السندي

ف3 كيف أثبت الخوئي وجود سليم بن قيس الهلالي، ولماذا وثقه، وقال بصحة كتابه؟

ف 4 من هو المعلى بن خنيس؟ ولماذا وثقه الخوئي رغم تضعيف النجاشي وابن الغضائري له؟

ف5 **كيف ولماذا وثق الخوئي (المفضل بن عمر الجعفي) المغالي المفوض الملعون؟**

ف6 كيف وثق الخوئي "السفراء الأربعة"؟

ف 7 الخوئي يوثق الامام زيد بن علي بناء على إيمانه بنظرية الامامة الإلهية

ف 8 الخوئي يضعف شيخ الطالبيين عبد الله المحض

ف 9 الخوئي يضعف محمد الديباج ابن الإمام جعفر الصادق

ف 10 الخوئي يضعف الحسين شهيد فخ، ويمدح الثائر العلوي يحيى بن عبد الله

الباب الثاني:

الفصل الأول: ولادة الخوئي وهجرته الى العراق

ولد الامام السيد أبوالقاسم الخوئي في مدينة خوي، التي تقع شمال غرب محافظة آذربايجان الغربية في ايران، قرب الحدود التركية، وتبعد عن مركز المحافظة تبريز حوالي 164 كم. يوم الاثنين 15 رجب 1317هـ 20 تشرين الثاني 1899م من ثاني زوجة لأبيه السيد علي أكبر.

وكان والده السيد علي أكبر الخوئي، امام جماعة في بلدة خوي مؤيدا للمشروطة المشروعة، على عكس الجو العام في تبريز الذي كان يؤيد (المشروطة) وعندما حدثت الفتنة بين المؤيدين لها والمعارضين، والتي أدت الى انقلاب الشاه محمد علي على الدستور والمجلس عام 1908، ثم قيام الثورة عليه عام 1909 واعدام الشيخ فضل الله النوري المؤيد (للمشروعة) هاجر الى النجف عام 1910 والتحق بحاشية المرجع المعارض للمشروطة والمؤيد للاستبداد السيد كاظم اليزدي. ليلتحق به ابنه أبو القاسم عام 1912 وهو بعمر الرابعة عشرة.

اخوانه واخواته

للسيد الخوئي ثلاثة اخوان واختان، وهم:

1. السيد عبد الله، وهو أكبر من السيد أبو القاسم، من أم أخرى، توفي بكربلاء سنة 1378هـ 1969 عن 74 عاما، ودفن بها.
2. السيد جعفر، يليه بالعمر. عين موظفا في دوائر المالية في مدينة مشهد الإيرانية، كما عمل موظفا بالسفارة الإيرانية ببغداد عدة سنوات، توفي بطهران حدود 1402 / 1982

3- السيد جواد. ذهب الى لبنان في أيام الانتداب الفرنسي، ولقب نفسه بالهاشم، وتزوج من فتاة لبنانية من اسرة حداد المسيحية، وله منها ولده هاشم وثلاث بنات. اشتغل السيد جواد موظفا في دوائر الدولة اللبنانية، ثم اصبح مديرا في دوائر النفوس والاحصاء، وتوفي في 21 رجب 1412 / 25 كانون الثاني 1992

4- عزت السادات. متزوجة من شخص إيراني اسمه آرمين.

5- شقيقة توفيت وهي شابة.

وتزوج الخوئي في العشرينات من القرن العشرين، من امرأة هندية تعيش في النجف، ولا توجد لدينا أية معلومات عن عائلتها، ثم تزوج عليها أخرى إيرانية، عام 1956 .

وله من الأولى الهندية :

1. طفل (توفي صغيرا)
2. جمال الدين،
3. علي، اشتغل عاملا في محل تجاري بايران،
4. بيبي خديجة وهي اكبر بناته تزوجها السيد نصر الله المستنبط.
5. عباس. اشتغل بالتجارة في بغداد.
6. قمر السادات، زوجة مرتضى الحكمي
7. زوجة جلال فقيه ايماني .
8. زوجة محمود الميلاني، وأنجب من الزوجة الثانية:
9. محمد تقي.
10. عبد المجيد

11. عبد الصاحب .
12. زوجة الشيخ محمد النائيني،
13. إبراهيم (قتله صدام بعد انتفاضة آذار 1991).

القزويني، تاريخ القزويني، ص 305 وغيره

يقول الدكتور جودت القزويني: نقلا عن والد الخوئي انه كان من المرشحين من قبل الدولة الإيرانية القاجارية لبعثة دراسية الى أوربا ضمن أول وجبة أرسلتها الحكومة للدراسة الأكاديمية. ولكن والده فضل ارساله الى الحوزة في النجف.

وشاء الله أن يسلك طريق الدراسة الدينية ويصل الى المرجعية الشيعية العليا.

دراساته

وهكذا قرر الشاب أبو القاسم الخوئي، من دون بقية أخوته، دخول الحوزة ودراسة الفقه الشيعي والحصول على درجة الاجتهاد التي تؤهل صاحبها لتبوء سدة المرجعية في المستقبل.

وليست لدينا أية معلومات عن مدى طموح الخوئي في بداية شبابه وهو يسلك طريق طلب العلم؟ وهل كان يحلم بالمرجعية العليا أم لا؟ ولكنا نعلم أنه كاد أن يغادر النجف الى ايران بسبب الضغط الاقتصادي في بداية الثلاثينات من القرن العشرين، لولا صرف استاذه النائيني له عن هذا القرار.

عندما حدثت الأزمة الاقتصادية العالمية في بداية الثلاثينات من القرن العشرين، أثرت كثيرا على الخوئي وعائلته، ومر شهر كامل لم يجدوا ما يأكلون فيه سوى الخبز والشاي، بحيث فكر في ترك النجف والعودة الى ايران، ولكنه تراجع عنها عندما أخبره استاذه النائيني بأنه هو وعائلته لم يجدوا ما يأكلون سوى الخبز بلا شاي.

وعلى أية حال، فقد نشط الطالب أبو القاسم الخوئي، في طلب العلم وحضور الدروس العليا في الفقه والأصول (البحث الخارج) على أيدي كبار المدرسين في سنة 1338 هـ - 1920 كما يقول في ترجمة نفسه في (معجم رجال الحديث) – وبالخصوص:

1. الشيخ فتح الله، المعروف بشيخ الشريعة الأصفهاني. (ت 1921) -
2. الشيخ مهدي المازندراني. (ت 1342هـ) / 1925 -
3. لشيخ ضياء الدين العراقي. (1942) –
4. الشيخ محمد حسين الأصفهاني الغروي الكمباني (ت 1942)
5. الشيخ محمد حسين النائيني. (ت 1936)

"وإن الأخيرين أكثر من تتلمذت عليه فقها وأصولا، فقد حضرت على كل منهما دورة كاملة في الأصول، وعدة كتب في الفقه حفنة من السنين، وكنت أقرر بحث كل منهما على جمع من الحاضرين في البحث، وفيهم غير واحد من الأفاضل، وكان المرحوم النائيني آخر أستاذ لازمته. وفي غضون السنين السابقة شرعت في تدريس تفسير (القرآن الكريم) برهة من الزمن، إلى أن حالت ظروف قاسية دون ما كنت أرغب فيه من إتمامه، وكم كنت أود انتشار هذا الدرس وتطويره".

وعلى هامش الدروس الأساسية التي تلقاها الخوئي في الحوزة وهي : (علم الأصول وعلم الرجال والفقه) حضر دروسا في علوم مختلفة قريبة مثل: الكلام والفلسفة والعرفان والفلك.....

ولكن المادة الأهم التي تشبع منها وكونت شخصيته الفكرية كانت الثقافة الشيعية الامامية الاثني عشرية، التي درسها على يد الشيخ محمد جواد البلاغي، وتشبع منها من خلال الأدعية و"الزيارات" والأحاديث والقصص التي تحكى على المنابر، والتي تتلخص في أهمية عقيدة الامامة الإلهية لأهل البيت، وحق الامام علي بالخلافة، وحق ذريته.

وقد حاز الخوئي على اجازة الاجتهاد من استاذه الشيخ محمد حسين النائيني، في 25 كانون الثاني، 1935 وجاء فيها: "... لا يخفى أنّ فضيلة صفوة المجتهدين العظام ركن الإسلام السيد أبو القاسم سلّمه الله تعالى ، مضافاً إلى كونه من أجلّ وأفاضل المجتهدين العظام ، فإنّه مأذونٌ ومجازٌ من قِبلي للتصدي للأمور الحسبية التي تكون في (عصر الغيبة) على المغيّب وآبائه الطاهرين أفضل الصلاة والسلام منوطة بإذن من له الولاية عليها ...

19شهر شوال 1353هـ . الأحقر محمد حسين الغروي النائيني"

كما حصل على إجازة أخرى في نفس العام من الشيخ أغا ضياء الدين العراقي (ت 1943م) والشيخ محمد حسين الأصفهاني (ت 1942م) والسيد أبو الحسن الاصفهاني والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت 1952).

وكان الخوئي قد بدأ بدراسة الخارج سنة 1338 1920

1. شيخ الشريعة الاصفهاني
2. مهدي المازندراني
3. ضياء الدين العراقي
4. محمد حسين الاصفهاني
5. محمد حسين النائيني

وشرع الخوئي في تأليف اجود التقريرات، سنة 1345/ 1926 وختمه سنة 1352 / 1943 وبدأ بتدريس الخارج 1936

مؤلّفاته

ألّف تأليفات قيّمة في مختلف العلوم الإسلامية من التفسير والفقه والأُصول والرجال وغيرها، وهي ـ كما في المعجم ـ:

1 ـ البيان في تفسير القرآن، صدر منه من قلمه الشريف المدخل وتفسير سورة الفاتحة.

2ـ أجود التقريرات، .

3 ـ تكملة منهاج الصالحين.

4 ـ مباني تكملة منهاج الصالحين.

5 ـ تهذيب وتتميم منهاج الصالحين.

6 ـ المسائل المنتخبة.

7 ـ مستحدثات المسائل.

8 ـ تعليقة على العروة الوثقى.

9 ـ رسالة في اللباس المشكوك.

10 ـ نفحات الاعجاز.

11 ـ منتخب الرسائل.

12 ـ تعليقة على المسائل الفقهيّة.

13 ـ منتخب توضيح المسائل.

14 ـ تعليقة على توضيح المسائل، طُبعت مستقلّة ثمّ أُدرجت في المتن.

15 ـ تلخيص المنتخب.

16 ـ مناسك الحجّ " عربي ".

17 ـ مناسك الحجّ " فارسي ".

18 ـ تعليقة المنهج لأحكام الحجّ.

19 ـ معجم رجال الحديث، وهي موسوعة قيّمة لم تسبق بمثلها، وتقع في 24 جزءاً.

-

الظروف السياسية والثقافية عند هجرة الخوئي للنجف

النجف

والنجف هي عاصمة الشيعة الأولى في العالم، حيث تضم قبر الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، الامام الأول في سلسلة الأئمة الاثني عشر، والتي يزورها الشيعة وعامة المسلمين من كل مكان.

ومعنى كلمة "النجف" في اللغة العربية يشير إلى الأرض المرتفعة التي لا يعلوها الماء، أو التل الصغير، وعندما قتل الامام علي حمله أبناؤه من الكوفة الى النجف ودفنوه سرا هناك، الى أن اكتشف قبره في العهد العباسي، سنة 133 وقام هارون الرشيد ببناء قبة على القبر، و تم تجديد البناء وتوسعته عبر العصور من قبل العديد من السلاطين والملوك.

وتضم النجف أيضا مسجد الكوفة التاريخي، ومسجد السهلة الذي يضم عددا من مقامات الأئمة الذين صلوا فيه كمقام الامام جعفر الصادق، والامام المهدي، حسب عقيدة الشيعة الاثني عشرية، ويسود الاعتقاد لديهم بأن من يصلي في هذا المسجد أربعين ليلة أربعاء فانه يحظى برؤية ولقاء الامام المهدي الغائب.

كما توجد في النجف أكبر مقبرة في العالم، هي مقبرة (وادي السلام) حيث يحرص كثير من الشيعة على نقل موتاهم من شتى بقاع الأرض للدفن في جوار الامام علي على أمل الشفاعة والنجاة من عذاب القبر. وذلك بناء على ما يروون من نقل أحد اليمنيين والده المتوفى في اليمن الى النجف في زمان الامام علي، وهو (صافي صفا) الذي يوجد له مزار متميز في المقبرة.

وأول من سكن النجف من علماء الشيعة هو شيخ الطائفة الاثني عشرية محمد بن الحسن الطوسي، بعد هجوم السلاجقة على الشيعة في الكرخ واحراق مكتبته عام 448 هـ ولا يزال قبره في مسجده المعروف قرب مقام الامام.

ولأن النجف كانت مرتفعة عن الأرض وكانت بعيدة عن الماء، فانها لم تستقطب كثيرا من السكان، ولم تصبح مدينة كبيرة عامرة، الا في بداية القرن التاسع عشر عندما زارها في عام 1793 المهراجا آصف الدولة محمد يحيى ميرزا) وزير ملك الهند محمد شاه الهندي) ورأى شحة مياه الشرب، وماء آبارها أجاجاً عسراً غير صالح للشرب، فأمر أن يحفر قناة مائية من نهر الفرات وإيصالها إلى النجف ولكنه لم يستطع إيصالها إلى النجف بسبب إرتفاع المدينة فأوصلها إلى الكوفة وبدأ الماء يسري في هذه القناة الجديدة بشكل منتظم ابتداء من سنة 1800.

الاحتلال البريطاني للعراق وثورة العشرين

ولم يكد الخوئي يستقر في العراق حتى قامت الحرب العالمية الأولى، واحتل الانجليز العراق عام 1917 ثم وقعت انتفاضة النجف ضد الاحتلال البريطاني عام 1918 ثم فجر المرجع الشيعي الميرزا محمد تقي الشيرازي (ثورة العشرين).

وقد التحق الفتى أبو القاسم الخوئي، مباشرة بالحوزة العلمية في النجف، وأكمل دراسة (المقدمات) خلال تلك الظروف المضطربة في العراق.

وشهد الخوئي أثناء وجوده في النجف قوة المرجعية الدينية الشيعية التي قاومت الاحتلال البريطاني، والنظام الملكي العراقي الجديد الذي إضفى طابعا

شرعيا على الاحتلال تحت غطاء معاهدة الانتداب، وتمريرها في انتخابات مزورة، حيث وقف المرجع الشيخ محمد حسين النائيني (تلميذ الآخوند الخراساني قائد المشروطة) والسيد أبو الحسن الأصفهاني والشيخ مهدي الخالصي، أمام الإرادة الاستعمارية وافتوا بحرمة المشاركة في الانتخابات المشبوهة.

وهذا ما أزعج سلطة الاحتلال والملك ورئيس الوزراء السعدون فقاموا باتخاذ قرار باعتقال الخالصي، ونفيه من العراق. وذلك بتاريخ 26 حزيران 1923 وتسفيره الى الحجاز (وقد ذهب بعد ذلك الى ايران، وتوفي في مشهد في 4 نيسان 1925) ولم يكد الخبر يصل الى النجف صباح اليوم التالي حتى عم الاضراب الأسواق وتجمهر الناس، وأعلن المراجع الآخرون أنهم يتضامنون مع الخالصي، وأن نفيه إهانة للدين وأهله، وصمموا على الهجرة من العراق احتجاجا.

وهنا قامت السلطات بتسهيل سفرهم من العراق الى ايران، بتاريخ 1/7 /1923م

واجريت انتخابات المجلس التأسيسي في 25/2/1924م، وتم إقرار معاهدة الانتداب البريطاني على العراق.

وقد أثار تهجير المراجع (النائيني والاصفهاني وآخرين) الى ايران موجة من العداء ضد النفوذ البريطاني في ايران.

دور المرجعية في السياسة الايرانية

واذا كان الدور السياسي للمرجعية الشيعية (الإيرانية المتواجدة في النجف) قد انتهى في العراق، بعد تسفير المراجع عام 1923م، فانه بدأ ينشط في ايران، فقد جرت في مدّة إقامة المراجع في إيران، الممتدّة من ذلك التأريخ حتى نيسان 1924م، تطورات سياسية خطيرة في إيران، التي كانت بريطانيا تحاول السيطرة عليها، بعد احتلال العراق، وكانت تحاول اضعاف سلطة الشاه أحمد وتقوية نفوذ عملائها في طهران، وعلى رأسهم (رضا خان) وزير الحربية، الذي أصبح بعد وصول المراجع الى ايران، رئيسا للوزراء، بتاريخ في 27 تشرين الأوّل 1923م، ثم أجبر الشاه أحمد على مغادرة ايران. وبدأ بالدعوة إلى تأسيس نظام جمهوري في إيران، من أجل التخلُّص من الأُسرة القاجارية وتأسيس نظام جديد يكون بزعامته، ولكن المراجع رفضوا هذه الفكرة خوفا من تحكّم الانجليز بكل شيء؛ حيث اجتمع المراجع الثلاثة (الاصفهاني والنائيني والحائري) في قم واتّفقوا على ضرورة إقناع رئيس الوزراء بأن الشاه أحمد شاه لا يمثّل خطراً على البلاد، وبالتالي لا مسوّغ لطرح فكرة الجمهورية، ولم يمانعوا من توليه الملك.
وتظاهر رضا خان باحترام إرادة المراجع، والإسلام، ووعد بتطبيق البند الدستوري المكمل الذي

يحتم وجود خمسة من الفقهاء في مجلس الشورى، لمراقبة القوانين ومطابقتها مع الإسلام، وتخلى عن فكرة اسقاط النظام الملكي.

ورغم ارتياب بعض العلماء الإيرانيين كالسيِّد حسن المدرس، برئيس الوزراء رضا خان، وايمانهم بعمالته للانجليز، الا أن المرجع النائيني منحه ثقته، ورأى فيه بديلا أفضل عن الشاه أحمد، ووثق به كما وثق الشيخ محمد الخالصي بالملك فيصل في البداية.

ولما كان وجود المراجع في ايران يشكل خطرا على النفوذ البريطاني، فقد فضلت بريطانيا عودة المراجع الى العراق، ولذلك أرسل الملك فيصل الأول وفدا اليهم يدعوهم للعودة بشرط عدم التدخل في السياسة العراقية. ولم يكن أمام المراجع الا القبول بنتائج هزيمة ثورة العشرين، والعودة للعراق منكسرين.

يقول الدكتور علي الوردي: "كتب المجتهدون تعهدا يذكرون فيه أنهم لن يتدخلوا في السياسة العراقية بعد الآن. وقد عثرت في وثائق البلاط الملكي على اربع رسائل موجهة الى الملك، وهي بتوقيع كل من السيد أبو الحسن الاصفهاني والميرزا حسين النائيني، والسيد عبد الحسين الطباطبائي والسيد حسن الطبائطبائي، وهي كلها بنص واحد تقريبا، والمظنون أنها تضمنت التعهد المطلوب منهم، نكتفي هنا بنقل رسالة الاصفهاني فقط، وهذا نصها:

"بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة جلالة ملك العراق أيّد الله ملكه وسلطانه.

بعد السلام عليكم والسؤال عن أحوالكم ورحمة الله وبركاته.

نعرض أنّ كتابكم المؤرّخ 26 رجب، المرسل مع حجّتي الإسلام جناب الشيخ جواد صاحب الجواهر وجناب ميرزا مهدي آية الله زاده دامت بركاتهما، أخذته بكمال الاحترام. وكما ذكرتموه فيه وأودعتموه في مطاويه، صار معلوماً لدينا، ولقد أفاد بما دار بينكم من الشؤون وبيان الأسباب الموجبة إلى تأخير حركتنا، وطلب جلالتكم المؤازرة، وكذلك المحروس السيّد باقر سركشيك قام بواجبه، وأبلغ خطاباته الشفاهيّة. هذا وإن كنّا قد أخذنا على عاتقنا عدم المداخلة في الأمور السياسيّة، والاعتزال عن كلّ ما يطلبه العراقيّون، ولسنا بمسؤولين عن ذلك، وإنّما المسؤول عن مقتضيات الشعب وسياسته جلالتكم، ولكنّ المؤازرة للملوكيّة حسبما تقتضيه الديانة الإسلاميّة، ذلك من مبدئنا الإسلامي. وأمّا ما أمرتم من توحيد الكلمة وتوطيد عرى الصداقة بين إيران والعراق، فذلك من

وظائفنا الدينيّة. وحينما دخلنا إيران لم نزل نبذل الجهد في ذلك، وسوف تظهر نتيجة أعمالنا المبرورة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

21 شعبان 1342

الأحقر أبو الحسن الموسوي الإصفهاني

المهر ".

وبعد تقديم هذا التعهد، عاد المجتهدون الى العراق بتاريخ 21 نيسان 1924 وظل الاصفهاني ملتزما بتعهده للملك بعدم التدخل في السياسة.

ورغم خسارة المراجع لنفوذهم في العراق، فقد ظل السيد أبو الحسن الأصفهاني والشيخ محمد حسين النائيني يهتمان بمتابعة الأمور في ايران، وأصدر الاثنان بيانا مشتركا باللغتين العربية والفارسية، عام 1925 دعما للشاه رضا بهلوي، حرّما فيه وبشدّة جميع أشكال المعارضة لحكمه. فبادر إلى خلع الشاه أحمد والجلوس بدلاً منه على عرش إيران، ثم انقلب على العلماء والإسلام، واتّخذ أتاتورك قدوة له في الحكم والسياسة. وقام في ديسمبر 1928 بإصدار قانون يفرض على الرجال تغيير أزيائهم المحلية واستبدالها بالزي الغربي.

ثم قام الشاه رضا بهلوي بإصدار قانون خلع حجاب النساء (بمعنى كشف الوجه فقط)، بالقوة، عام 1935 وقد أثار هذا القرار غضب العلماء والشعب الإيراني بشدة، فتجمعوا في مسجد (كوهر شاد) في (الحضرة الرضوية) في مشهد، احتجاجا على ذلك. ولكن القوات الحكومية حاصرت المسجد واطلقت النار على المعتصمين، فسقط حوالي ألف شخص بين قتيل وجريح. وفي صباح اليوم التالي شنت القوات الحكومية حملة على العلماء، فاعتقلت بعضهم واختفى آخرون.

وقد أنهى هذا الانقلاب السياسي الثقافي، دور المراجع في الحياة السياسية في ايران، بعد انتهاء دورهم السياسي في العراق. ولم يبق أي أمل لهم في تطبيق النظريات السياسية الخاصة بـ (النيابة العامة) أو (ولاية الفقيه) أو (الديمقراطية).

وهنا قام الشيخ النائيني بلملمة كتابه (تنبيه الأمة وتنزيه الملة) من الأسواق وتحريم تداوله وترجمته، وانصرف كبقية العلماء للبحث والتدريس في الفقه والأصول.

وظل الفقهاء طوال القرن العشرين يتمتعون بنوع من السلطة الروحية لدى المؤمنين من الشيعة الامامية الاثني عشرية ، وبقيت لهم (المرجعية) التي

تقتصر على الفتيا وجباية الأخماس والزكوات ، والتدخل غير المباشر في الشؤون السياسية أحيانا ولدى حالات الطواريء الخاصة. وهذا ما يمكن تسميته بـ (المذهب المرجعي).

في هذه الأجواء نشأ الامام الخوئي، ولذلك انكب على الدراسة الدينية الشيعية الفقهية والأصولية، ولأنه كان يحمل الجنسية الإيرانية فقد انصرف عن التدخل في السياسة العراقية كبقية الطلبة والمراجع الايرانيين.

السجال الطائفي

وفي الوقت الذي انكفأ مراجع الشيعة عن التدخل في السياسة العراقية الداخلية، اشتعل الجو الثقافي في العراق بالمساجلات الطائفية بين السنة والشيعة، ردا على قصيدة الآلوسي (ت 1924) حول سبب غيبة (الامام المهدي) : (أيا علماء العصر يا من لهم خبر بكل دقيق حار في مثله الفكر. لقد حار مني الفكر في القائم الذي تنازع فيه الناس والتبس الأمر).

وقد تحدثنا عن القصيدة في فصل (المذهب المرجعي) في الباب الأول، ورغم انه كتبها في أواخر القرن التاسع عشر، الا أن صداها ظل يتردد في القرن العشرين.

وقد رد على الألوسي تلميذ الطبرسي: الشيخ محمّد جواد البلاغي، بقصيدة طويلة تتضمن أكثر من مائة بيت، مطلعها:أطعت الهوى فيهم وعاصاني الصبر فها أنا مالي فيه نهي ولا أمر

وفي خبر الثقلين هاد الى الذي تنازع فيه الناس والتبس الأمر.

اذا قال خير الرسل لن يتفرقا فكيف اذن يخلو من العترة العصر؟

(وما ان تمسكتم) تنبيك إنهم هم السادة الهادون والقادة الغر.

...

وغاب بأمر الله للأجل الذي يراه له في علمه وله الجهر

وواعده أن يحيي الدين سيفه، وفيه لآل المصطفى يدرك الوتر

ويخدمه الأملاك جندا وانه يشد له بالروح في ملكه الأزر

وان جميع الأرض ترجع ملكه ويملؤها قسطا ويرتفع المكر

...

ولم يك من خوف الأذاة اختفاؤه، ولكن بأمر الله خير له الستر

...

به تدفع الجلى ويستنزل الحبا وتستنبت الغبرا ويستكشف الضر

كما قيل في الأبدال والقطب انهم بهم تدفع الجلى ويستنزل القطر .

وكذلك الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت 1954) الذي رد على الألوسي بقصيدة هذا مطلعها:

بنفسي بعيد الدار قرّبه الفِكرُ وأدناه من عُشّاقه الشوق والذِكرُتَستّر لكن قد تجلّى بنوره فلا حُجبٌ تُخفيه عَنهم ولا سِترُ

ورد عليه السيّد محسن الأمين العاملي (ت 1952) بقصيدة مطلعها:

نأوا وبقلبي من فراقهم جمر وفي الخد من دمعي لبينهم غمر.

واستمرارا لهذا الجدل كتب الشيخ عبد الحسين الأميني موسوعة (الغدير في الكتاب والتاريخ والأدب) المؤلفة من 11 جزء، من أجل اثبات حق الامام علي في الخلافة.

وهو ما يكشف عن احتدام الجدل الطائفي التاريخي بين السنة والشيعة في العراق في القرن العشرين، وذلك قبل وبعد مجئ الخوئي الى حوزة النجف، وهو ما أثر على تكون فكره العقدي، ولا سيما انه تتلمذ في (علم الكلام) على الشيخ البلاغي صاحب القصيدة الأهم في الرد على الألوسي.

ماذا درس الخوئي في مجال علم الكلام؟

نقرأ في ترجمة الخوئي أنه درس علم الكلام على يد الشيخ محمد جواد البلاغي (ت 1932)، تلميذ النوري الطبرسي، وليست لدينا معلومات مفصلة عن الكتب التي درسها أو الفترة التي قضاها في الدرس، ولكن اذا راجعنا برنامج الدراسة في الحوزة في هذا المجال فهو يتلخص بكتابين للعلامة الحسن بن مطهر الحلي (ت 726هـ) هما (الباب الحادي عشر) و (مختصر منهج الكرامة) وربما (منهاج الكرامة) كاملا فيما بعد. وتوجد الى جانبها كتب أخرى للمطالعة، ككتاب (الالفين) للعلامة الحلي،و (الارشاد) للشيخ المفيد، و(الشافي في الامامة) للشريف المرتضى، وهو 4 أجزاء، و(تلخيص الشافي) للشيخ الطوسي.

ويتضمن كتاب (**الباب الحادي عشر**) الذي ألفه العلامة الحلي كتكملة لكتاب (منهاج الصلاح في مختصر المصباح) الذي يتألف من عشرة أبواب في العبادات والأدعية، وخصص (الباب الحادي عشر) لبحث أصول الدين. وهي معرفة الله والنبوة والمعاد، والامامة، وبعد أن يعرف الأخيرة بأنها رئاسة عامة في أمور الدنيا والدين لشخص من الأشخاص نيابة عن النبي، يقول انها واجبة عقلا وأن الإمام يجب أن يكون معصوما ومنصوصا عليه، وأن يكون أفضل الناس. ثم يتطرق للأدلة العقلية والنقلية التي تثبت إمامة الإمام علي بن أبي طالب وبقية الأئمة الاثني عشر؛ ولكنه لا يتحدث عن أدلة اثبات وجود الامام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري.

ونظرا لما تميّز به هذا الكتاب من اختصار وشمولية؛ فقد حظي بشروح وتعليقات كثيرة. ومنها كتاب (النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر) للفاضل المقداد (ت 826) الذي أصبح منذ ذلك الحين جزءا من مادة (علم الكلام) في المدارس والحوزات العلمية .

وأما الكتاب الثاني فهو (منهاج الكرامة في معرفة الامامة) الذي خصصه الحلي للحديث عن الامامة وأدلتها العقلية والنقلية، وهو الكتاب الشهير الذي رد عليه الشيخ عبد الحليم بن تيمية (ت 728) بكتاب (منهاج السنة في نقض كلام الشيعة و "القدرية).

وقد ألفه الحلي للملك المغولي المسلم (أوليجايتو محمد خدابنده) الذي تشيع على يديه، عام 707 وأهداه الى: " خزانة السلطان الأعظم، مالك رقاب الأمم، ملك ملوك طوائف العرب والعجم، مولى النعم، ومسند الخير والكرم، شاهنشاه المعظم، غياث الحق والملة والدين، أولجايتو محمد خدابنده خلد الله سلطانه، وثبت قواعد ملكه وشيد أركانه، وأمده بعنايته وألطافه، وأيده بجميل إسعافه، وقرن دولته بالدوام إلى يوم القيامة". (كما ورد في مقدمة الكتاب)

ورغم اسهاب الحلي في هذا الكتاب، الا انه أيضا لم يتحدث عن أدلة إثبات ولادة الامام الثاني عشر.

واذا ألقينا نظرة على الهدف من هذا الكتاب، والكتاب السابق، أي إثبات الامامة للامام علي وأهل البيت، فسوف نرى التناقض بين هذا الهدف المثالي بأن الامامة "رئاسة عامة في أمور الدنيا والدين لشخص معصوم نيابة عن النبي" وبين الامام الواقعي (السلطان المغولي) الذي يدعو الحلي الله أن يخلد سلطانه ويثبت قواعد ملكه ويشيد أركانه ويقرن دولته بالدوام الى يوم القيامة، بما يوحي بعدم إيمان الحلي بإمكانية تطبيق نظرية الامامة الإلهية في زمانه والى يوم القيامة. وبعبارة أخرى فان الحلي يتحدث عن نظرية تاريخية لا واقعية ولا يمكن تطبيقها في أي وقت من الأوقات، حتى أنه لم يشر الى ظهور (الامام المهدي الغائب) أو حتى التمهيد له والدعاء له بالظهور.

وقد اكتفى الحلي من السلطان المغولي خدابنده، أن يغير الإذان ويضرب العملة بأسماء الأئمة، لكي يكون حاكما شيعيا. بالرغم من أن الحلي كان يرفض في (الألفين في إمامة أمير المؤمنين) رئاسة أي شخص غير معصوم ويقول: "ان رئاسة غير المعصوم في الدين والدني جالبة لخوف المكلف... ولا شيء غير المعصوم بإمام".

ومن المعتاد أن يمر الأساتذة والطلبة في الحوزة، على موضوع (الامامة) مرور الكرام، بلا نقد أو نقاش، باعتبارها من (المسلمات) ولذا لا يوجد أي (درس خارج) يناقش فيه الأساتذة موضوع الامامة كما يناقشون المسائل الأصولية والفقهية، ويبينون الآراء المختلفة، أو يردون على هذا أو ذاك.

وبالطبع لا أحد في الحوزة يفكر بطرح نظام الامامة كبديل عن الأنظمة القائمة: الملكية أو العسكرية أو الجمهورية، وكل ما يحلمون به هو ظهور (الامام المهدي) الغائب لكي يقيم دولة الحق ويملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا. وقد استعرضنا في الباب الأول تطور الفكر السياسي الشيعي الى فرضية نيابة الفقهاء عن الامام المهدي، ونظرية ولاية الفقيه التي قال بها بعض الفقهاء، في ظل الأنظمة الملكية الصفوية والقاجارية والبهلوية. وعندما يتم بحث نظرية الامامة، فانما يتم بحثها كعقيدة دينية تاريخية تشكل مصدر الشرعية للأحاديث الواردة عن الأئمة. وحتى الفقهاء الذين قالوا بنظرية ولاية الفقيه المطلقة، أو النظام الديمقراطي، فانهم ظلوا يؤمنون بنظرية الامامة كعقيدة دينية تاريخية منفصلة عن الواقع السياسي المعاصر.

وهكذا يمكن القول ان الخوئي ورث عقيدة الامامة كمسلمة خارج النقاش والاجتهاد، ولم يجتهد فيها بعمق، واذا كان قد تعرض اليها في بعض دروسه واشعاره، فانما لكي يقرر ما هو واضح ومعروف ومجمع عليه بين الشيعة.

وحسب ظني أن الخوئي لم يخطر على باله التشكيك يوما بصحة نظرية الامامة، أو إعادة النظر فيها، أو الخروج من الصندوق الذي ولد فيه. وسوف نستعرض الجو الثقافي المهيمن على الحوزة ومدينة النجف والمجتمع الشيعي بصورة عامة، ولا سيما في ايران والعراق، حيث ولد وعاش ودرس الخوئي.

ثم نستعرض كتاباته المتفرقة المبتسرة في إثبات نظرية الامامة والولاية التشريعية والتكوينية.

الفصل الثاني: ما هو مفهوم الخوئي للاجتهاد؟

متى فتح باب الاجتهاد عند الشيعة؟ ولماذا؟

يحتل الحديث عن (الاجتهاد) مكانة خاصة عند الشيعة الامامية الاثني عشرية، ولا سيما عند الجناح (الأصولي) الذي يؤمن بوجوب الاجتهاد في ما يسمى (بعصر الغيبة) في مقابل الجناح (الأخباري) الذي يكتفي بالعمل بالأحاديث الواردة عن الأئمة من أهل البيت. ويتخذ موضوع الاجتهاد أهمية قصوى بسبب ارتباطه بموضوع (التقليد) الذي يقول الفقهاء الأصوليون بوجوبه على عامة الناس (غير المجتهدين ولا المحتاطين)، وفساد أعمالهم وعباداتهم ومعاملاتهم بدون ذلك.

وقد طرح موضوع الاجتهاد، ووجوبه على كل مكلف، في القرن الرابع الهجري، عند تأسيس المذهب الاثني عشري، في أيام الشيخ المفيد، ثم تم تضييق دائرة الوجوب وقصرها على بعض الفقهاء كفائيا، واجازة التقليد لعامة الناس. وهكذا أصبحت ثنائية (المجتهد والمقلد) ظاهرة اجتماعية دينية سياسية تاريخية مستمرة الى اليوم.

واذا عدنا الى القرن الثاني الهجري، فسوف نرى بروز ظاهرة (الاجتهاد) عند فقهاء عامة المسلمين، كالامام أبي حنيفة النعمان ومالك بن أنس والشافعي، وغيرهم، من الذين بحثوا في بعض المسائل المستجدة التي لم ترد بصورة واضحة في القرآن الكريم والسنة النبوية، واستعملوا القياس والرأي لاستنباط ذلك. ولكن الامام محمد الباقر (ت 114) رفض اجتهاد الفقهاء من الشيعة والسنة، وقال بوجود العلم الحقيقي لديه، وطالب المسلمين بتقليده واتباعه. واستجاب له بعض الشيعة، الذين أنشأوا الفرقة (الامامية). ولكنهم لم يستطيعوا التواصل مع الأئمة بعد وفاة الامام الحسن العسكري، و"غيبة" الامام الثاني عشر عام 260، فقرروا العمل بما لديهم من أحاديث عن الأئمة، وعندما لم تسد تلك الأحاديث حاجة الشيعة في الأمور المستجدة، اضطروا لفتح باب الاجتهاد، وانقسموا الى أصوليين مجتهدين وأخباريين.

تعريف الاجتهاد والحاجة اليه

يعرف السيد الخوئي الاجتهاد في كتاب (الرأي السديد في الاجتهاد والتقليد) بأنه " بذل الطاقة لتحصيل الحجة على الحكم الشرعي من الكتاب والسنة" بدلا من (الحصول على الظن في الأحكام الشرعية) الذي يرفضه الاخباريون ويطالبهم - بناء على ذلك - بالاعتراف بالاجتهاد، والتصالح مع الأصوليين.

ومن المعروف ان الاخباريين كانوا ولا يزالون يرفضون عملية الاجتهاد التي يمارسها الأصوليون، منذ عهد الشيخ المفيد والطوسي، ويقولون بالاكتفاء بالعمل على وفق الأخبار الواردة عن أئمة أهل البيت في (الكافي) وغيره من كتب الحديث، ولكن الأصوليين لا يعترفون بصحة كل ما يوجد في التراث الحديثي ويستخدمون (علم الرجال) لتمييز الروايات الصحيحة من الموضوعة والضعيفة، ولا سيما ان معظم الروايات متناقضة، في كثير من الأحكام، ولذلك يضطرون الى استخدام بعض القواعد الأصولية كالعرض على القرآن لاستخراج الحكم الصحيح.

وجوب الاجتهاد

وفي الوقت الذي كان المسلمون يأخذون دينهم بصورة أساسية من القرآن الكريم والسنة النبوية العملية، ويعرفون الواجبات والمحرمات، ويلجؤون في الأمور الحادثة، الى الفقهاء المجتهدين، فان الخوئي – تبعا لبعض الفقهاء الشيعة – أوجب على كل مكلف الاجتهاد في أمور حياته كلها حتى العادية، واذا عجز عن ذلك فعليه التقليد، وبرر ذلك بقوله: "لا ريب في أنّ كلّ مكلّف متديّن بدين ومتشرّع بشريعة لا بدّ له من العمل باحكامه يعني يجب عليه عقلا أن يكون في مقام العبوديّة والامتثال لما امر به ونهى عنه... فانتهى الأمر إلى الاجتهاد".

شرعية الاجتهاد

ويحاول الخوئي أن يبين شرعية الاجتهاد في هذا العصر، بناء على آية: "وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ". (التوبة، 122) فيقول

بأن: "ما يقال: من انه في عصر صدور الآية الشريفة كان المسلمون يسألون النبى (ص) عن الاحكام وفي الاعصار المتعاقبة يسألون اوصيائه (ع) ولم يكن أمر التفقه طويلا وعريضا بحيث يحتاج في تحصيله الى طي مقدمات وعلوم من اللغة والاصول والرجال **ومعرفة قوانين معالجة التعارض بين الأدلة** كما في اعصارنا هذه فالآية الشريفة ناظرة الى حيث الحكاية وحجية خبر الواحد- مردود: بان المأخوذ في الآية عنوان التفقه ومن المعلوم ان الراوي لا يلزم ان يكون فقيها بل يلزم ان يكون عارفا بالفاظ الرواية فهي غير ناظرة الى حجية قول الراوي بما هو راو وايضا من الواضح عدم وجود فرق بين التفقه في صدر الاسلام والتفقه في عصرنا هذا بمجرد كثرة الابحاث وتشتت المسائل وتراكمها في هذا العصر وقلتها في ذلك العصر حيث كان المتفقة قريبا من الامام مصاحبا له (ع) فيسأله عن اللغة وعلاج التعارض وغير ذلك فيجيب المعصوم (ع) بما له أن يجيب به، مثلا: في مورد السؤال عن علاج التعارض في المقبولة قال عليه السّلام: **خذ ما وافق الكتاب وما خالف العامة.**والحاصل ان الآية الشريفة غير قاصرة الدلالة عن اثبات حجية قول المجتهد بالاضافة الى غيره".

الاجتهاد واجب كفائي وليس عينيا

"وكيف كان فقد دلتنا الآية المباركة على عدم كون الاجتهاد واجبا عينيا على

المكلفين كما هو المنسوب إلى جمع من الأقدمين وفقهاء حلب قدس الله أسرارهم، على أنه عسر عن المكلفين بل دونه خرط القتاد مضافا إلى قيام السيرة على الرجوع إلى فتوى الرواة وغيرهم من العالمين بالأحكام حتى في عصرهم (ع) من غير ردع عنها بوجه".

شروط الاجتهاد

وينتقل الخوئي بعد ذلك لبيان شروط الاجتهاد فيقول: " انه يتحقق بأمور:

منها علم اللغة، حيث يبتنى استخراج جل الأحكام الشرعية على مراجعة الكتاب والسنة...وهذا العلم يحتاج اليه المجتهد ولو كان عربي، اذ هو أيضا لا يحيط بجميع المواد...

ومنها العلوم الأدبية، بقدر ما يحتاج اليه في استفادة المعاني من الألفاظ...

ومنها علم أصول الفقه، وقد ذكرنا في أول هذا العلم ومدخله وجه احتياط الفقيه اليه حيث يبحث فيه عن قواعد تقع كبرى لقياس الاستنباط.

ومنها علم الرجال، لأن آيات الأحكام والأخبار المتواترة المعدة لهذا النظام معدودة غير وافية لجميع قوانين الفقه، وانما الوافي بها هي الأخبار الآحاد المحصورة في الكتب الأربعة (الكافي، ومن لا يحضره الفقيه، والتهذيب، والاستبصار) وغيرها ومن المعلوم أن جميع رواتها ليسوا بثقات، والمسلم حجيته بدلالة آية النبأ ونظائرها وبشهادة سيرة العقلاء: هو خبر الثقة أو الحسن، وما يستعين به المجتهد لتمييز الراوي الضعيف عن غيره هو هذا العلم".

وينتقد الخوئي بعض الفقهاء الأصوليين الذين يهملون علم الرجال، فيقول: "نعم من يعمل بالروايات الموجودة في الأصول الأربعة المذكورة، لعمل القدماء بها، ويعتقد أنه جابر لضعف ضعافها، فهو مستريح عن اتعاب النفس في طريق تحصيل هذا العلم والمراجعة اليه، كالمحقق الهمداني (ره) حيث قال في كتابه: ليس من دأبي الرجوع الى الكتب الموضوعة لعلم الرجال لأن اعتناء المتقدمين بما في الأصول وعملهم به يغني عنه". فبناء على مبناه، لا احتياج الى هذا العلم الا بالإضافة الى الرواية التي لم يحز عملهم بها، أو وجدت في غير الكتب الأربعة. ولكن أشرنا آنفا الى فساد هذا المبنى، وانه كما يتبع في مرحلة الدلالة، الظهور، يتبع في الاعتبار والسند الصدور، ولا يعرف الا بالعلم المذكور.

فاذا الاحتياج الى العلمين الأخيرين، (وهما من المكونات القريبة للاجتهاد) بالإضافة الى المجتهد، شديد، وقول الخصم ليس بسديد.

والحاصل: ان الاجتهاد بما أنه أمر تدريجي يحتاج في تحصيله الى النظر في العلوم المزبورة، خصوص توجيه الجهد وتشحيذ البصر الى جزئيات مسائل علم الرجال كمسالة اجماع الأصحاب على تصحيح ما يصح عن جماعة، وانه ما معنى هذا الاتفاق هل هو اتفاق على وثاقة نفس هؤلاء من دون نظر الى توثيق من يروى واحد منهم عند المتوسط بين كل واحد منهم وبين الامام أو غيره (ع)؟ أو معناه أنه اذا وصل تستسل السند الى أحدهم فلا يفتش فيمن بعدهم تعبدا؟".

وقلل الخوئي من أهمية علم المنطق في عملية الاجتهاد، فقال: " وأما علم المنطق فعدم لزوم معرفته على صورته المدونة، ضروري، اذ هو أمر ذاتي وفطري حاصل لعامة الناس وقاطبتهم حتى الأطفال اذا شاهدوا حيوانا لا يحكمون بأنه مؤذي بمجرد علمهم بأن بعض الحيوانات يؤذي، لأن عدم انتاج (الموجبة الجزئية) جبلي للأنفس، وهذه الصورة المدونة من عمل أرسطو هي اصطلاحات أدرج قواعده تحتها".

الخوئي إمام المذهب المرجعي ب2ف2 ق2 ما هي حقيقة "اجتهاد" الخوئي؟

الخوئي يهمل أصل الأصول

ويلاحظ هنا ان الخوئي أهمل الإشارة الى ضرورة بحث موضوع حجية أحاديث الأئمة (المعصومين) رغم أهميته، وكونه (أصل الأصول) نظرا لأنه يتحدث عن الاجتهاد في داخل البيئة الشيعية الامامية الاثني عشرية، وهذا ما عبر عنه أحد تلامذته وهو الشيخ علي الغروي، بقوله: "ان اصحابنا الامامية قد اذعنوا لقانون الخلافة الإلهية الكبرى التي لم يزل صاحب الدعوة (ص) طيلة حياته يجاهر بالتنويه بها وأوقف أصحابه في مواطن عديدة على أسماء من يلي أمر الأمة من بعده من أبنائه الأقدسين بعد سيد الأوصياء أمير المؤمنين (ع) وأوضح ما منحهم الباري عز وجل به من العلم بأسرار الطبايع وحوادث الكون من خير وشر. وكان الأصحاب يتحفظون بما تحملوه عن أئمتهم عليهم السلام من الأحاديث في فقه الشريعة وآثارها".

ولكن موضوع بحث الموقف من الأئمة الاثني عشر، مهم جدا نظرا لاختلاف أصحاب الأئمة أنفسهم في النظر اليهم، بين من كان ينظر اليهم كعلماء أبرار ورواة أحاديث صادقين عن النبي الأكرم، دون زيادة أو نقصان، ومن كان ينظر اليهم باعتبارهم مجتهدين، ومن كان ينظر اليهم كمشرعين ومحدَثين ولديهم علم لدني، ومن كان يعتقد بأنهم امتداد للنبوة أو أنبياء، أو أفضل من الأنبياء والمرسلين، ما عد النبي محمد (ص) وأنهم امتداد للرسالة، وكانوا يحتفظون برسائل سرية خاصة من النبي تأمرهم بتبليغ بعض الأحكام في أوقات مناسبة

معينة. ومن الواضح أن هذا الاختلاف في النظر الى الأئمة يؤثر على طبيعة النظر الى أحاديثهم، والأخذ بها.

كما ينعكس الموقف من الأئمة على الموقف ممن لا يؤمن بهم أو بواحد منهم، كعامة أهل السنة، والشيعة الزيدية والاسماعيلية، وما يتعلق بذلك من أحكام، فاذا اعتقدنا بأنهم علماء أبرار ورواة أحاديث، فان نظرتنا الى من لا يؤمن بهم تكون عادية، وأما اذا نظرنا اليهم كأئمة معصومين معينين من قبل الله، وان الايمان بهم ركن من اركان الدين وأصل من أصول الإسلام، فان نظرتنا الى من لا يؤمن بهم تكون سلبية جدا ربما تصل الى حد التضليل والتكفير.

ويتفرع عن بحث الامامة موضوع ولادة ووجود الامام الثاني عشر (محمد بن الحسن العسكري) فكيف يمكن أن نصدق بالأحاديث الواردة عنه في التراث الشيعي دون أن نعرف هل هو موجود حقا؟ أم غير مولود ولا موجود؟

واضافة الى ذلك فان هذا البحث يتعلق بموضوع الامامة، فاذا كان الامام الثاني عشر موجودا فعلا، فيمكن أن تصح نظرية الامامة، وأما اذا لم يكن مولودا ولا موجودا فانه يلقي بالشك على تلك النظرية، وجواز الأخذ بأحاديث الأئمة.

ولكن الخوئي أهمل اشتراط بحث موضوع الامامة، في عملية الاجتهاد، نظرا لما يبدو أنه كان يعتبر هذا الموضوع من المسلمات، ربما بناء على إيمانه بحديث (الثقلين: الكتاب والعترة) دون تحقيق أو اجتهاد مسبق.

ورغم أنه كان يشترط على المجتهد دراسة علم الرجال، الا انه قلد في هذا العلم مشايخ الطائفة الاثني عشرية، ولا سيما علي بن إبراهيم القمي الذي اعتبر كل رجاله من الثقات.

وقد أدى ذلك بالخوئي الى تبني نظريات مغالية بأئمة أهل البيت لم يعرفها عامة الشيعة، حيث كان يعتقد بالولاية التشريعية للأئمة، ويقول عنها: " لا إشكال في ثبوتها، وهي ممّا لا يحتاج إلى إقامة البرهان ومن القضايا التي قياساتها معها ...وكيف كان فلا ينبغي الإشكال في ثبوت الولاية بالاضافة إلى أمر الدين".

ويذهب الخوئي الى القول بالتبليغ التدريجي، أي بوصية النبي للأئمة بتبليغ بعض الأحكام التي لم يصرح عنها في حياته، والطلب منهم اصدار الحكم الشرعي في المستقبل، عند الحاجة اليه، فيقول عند بحث موضوع الخمس، ولماذا لم يأخذ النبي في حياته الخمس من أرباح المكاسب: "ههنا اشكال معروف قد تداول على الالسن ولاسيما في الآونة الاخيرة: وحاصله ان الآية لو كانت مطلقة وكان هذا النوع من الخمس ثابتا في الشريعة المقدسة فلماذا لم يعهد اخذه من صاحب الشرع حيث لم ينقل لا في كتب الحديث ولا التاريخ ان النبي الاعظم (ص) أو احدا من المتصدين بعده حتى وصيه المعظم في زمن خلافته الظاهرية تصدى لأخذ الاخماس من الارباح والتجارات كما كانوا يبعثون العمال لجباية الزكوات، بل قد جعل سهم خاص للعاملين عليها فانه لو كان ذلك متداولا كالزكاة لنقل الينا بطبيعة الحال. وان تعجب فعجب انه لم يوجد لهذا القسم من الخمس عين ولا اثر في صدر الاسلام إلى عهد الصادقين (ع) حيث ان الروايات القليلة الواردة في المقام كلها برزت وصدرت منذ هذا العصر، اما قبله فلم يكن منه اسم ولا رسم بتاتا حسبما عرفت. والجواب: اما بناء على ما سلكناه من تدريجية الاحكام وجواز تأخير التبليغ عن عصر التشريع بايداع بيانه من النبي إلى الامام ليظهره في ظرفه المناسب له حسب المصالح الوقتية الباعثة على ذلك، بل قد يظهر من بعض النصوص ان جملة من الاحكام لم تنشر لحد الان وانها مودعة عند ولي العصر (عج) وهو المأمور بتبليغها متى ما ظهر وملأ الارض قسطا وعدلا. فالأمر على هذا المبنى - الحاسم لمادة الاشكال - ظاهر لا سترة عليه".

ولكن ما اعتبره الخوئي حاسما لمادة الاشكال، يخالف في الواقع موضوع (ختم النبوة)، وصريح القرآن الذي يقول: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا". (المائدة، 3) و "مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا". (الأحزاب، 40) ولم ينقل عن النبي الأكرم أنه أخفى شيئا من التعاليم الدينية والأحكام الشرعية، أو عهد في بيانها الى أحد من بعده. والمثير للدهشة: أن الخوئي لم يوضح كيف بنى عقيدته هذه على أي دليل؟ وكيف اعتبرها من المسلمات؟

وقد غالى الخوئي بالأئمة كثيرا الى درجة الخروج عن المذهب الاثني عشري المعتدل، والانتماء الى الفرق الضالة المنحرفة كفرقة (المفوضة) أتباع المفضل بن عمر، فقال بالولاية التكوينية للأئمة، كما جاء في عدد من كتبه: "أمّا الولاية التكوينية: فلا إشكال في ثبوتها وأنّ المخلوقات بأجمعها راجعة إليهم وإنّما خلقت لهم، ولهم القدرة على

التصرف فيها وهم وسائط التكوين". و"أنّ الأئمّة (ع) منعمون بالاضافة إلينا حيث إنّهم وسائط في الافاضة والإيجاد".

ومن هنا تظهر أهمية بحث موضوع الامامة لعملية الاجتهاد، ولكن الخوئي لم يشترط ذلك، ولم يقم بالتالي بالاجتهاد في هذا الموضوع، واكتفى بالاجتهاد في (علم الرجال) و(الأصول) المتفرعة عن نظرية الامامة مثل (أصل) العمل لدى تعارض الأحاديث بـالأخذ بما (يخالف العامة).

وهذا ما يثير سؤالا عريضا حول حقيقة "اجتهاد" الخوئي، وفيما اذا كان مبنيا على أسس شرعية راسخة؟ أم على رمال؟

ف 3 الأجواء الثقافية المحيطة بالخوئي والمؤثرة في فكره العقدي

حصل الخوئي على إجازة الاجتهاد من استاذه النائيني وهو بعمر الخامسة والثلاثين، وقد تخصص في (علم الأصول) الذي يشكل أساس العملية الاجتهادية، ثم تعمق بعد ذلك في (علم الرجال) الضروري في معرفة الأحاديث الصحيحة من الضعيفة أو الموضوعة، في طريقه للوصول الى الأحكام الفقهية السليمة، وقد تميز في تدريسه لطلابه في الحوزة على مدى خمسين عاما، بعبقريته المشهود له بها في هذه العلوم: الأصول والرجال والفقه، وقد كتب تلامذته محاضراته في عشرات الكتب التي ملأت المكتبة الشيعية.

وحسبما هو مذكور في ترجمة الخوئي، فانه درس (علم الكلام) على يد الشيخ محمد جواد البلاغي (ت 1352 هـ 1933م) ، ولكن لم يكتب بحثا معينا أو يلق دروسا خاصة في موضوع العقيدة الاثني عشرية.

وسوف نستعرض آراءه بالتفصيل في فصول قادمة، ونود الآن أن نلقي بعض الضوء على الأجواء الثقافية الدينية الشيعية المتعلقة بالعقيدة الاثني عشرية، والمحيطة بالخوئي والمجتمع الشيعي، والتي تزرع الايمان بها في عقول الشيعة بما لا تدع مجالا للشك أو التفكير باحتمال خطئها. وبما ان الفتى الخوئي قد ولد في بيئة شيعية، وكان والده اماما للجماعة في خوي، وانتقل الى النجف قلب العالم الشيعي، فانه لا شك قد تأثر بتلك الأجواء الثقافية، وحصل له اليقين من خلالها.

كيف بنى الخوئي عقيدته في الامامة؟

بعد مطالعة عدد من كتب السيد الخوئي، وجدته يؤمن بنظرية الامامة الاثني عشرية، بقوة، ويلتزم بشدة بما صح عن الأئمة الاثني عشر، وحاولت أن ابحث عن أساس إيمانه بالأئمة الاثني عشر، فلم أجد له بحثا مستقلا في حجية (الأئمة) أو وجود (الامام الثاني عشر: محمد بن الحسن العسكري) الذي كان محل جدل ونقاش بين الشيعة في القرن الثالث الهجري، بعد وفاة الامام الحسن العسكري عام 260 هـ، دون خلف ظاهر، وبدلا من ذلك وجدت الخوئي يحيل في كثير من المواضع الى الادعية والزيارات الموروثة عن الأئمة، ولا سيما (الزيارة الجامعة) التي تتضمن التأكيد على شرعية وحجية الأئمة، ورغم أن هذا يشكل دورا منطقيا باطلا، اذ لا يمكن الاحتجاج بما ورد عن الأئمة قبل البحث والتحقيق في حجية أقوالهم، الا أن الخوئي لم يبحث في صحة تلك الأدعية والزيارات الموروثة عن الأئمة، وهو العالم المتخصص في الحديث والرجال، وتقبلها كأنها مسلمات لا تقبل النقاش.

وهنا حاولت أن افهم كيف تكونت هذه المسلمة في عقل الخوئي، فقمت بمراجعة كتب الأدعية والزيارات الموروثة من المحدثين الأوائل كالكليني، وابن قولويه، والصدوق والطوسي وابن طاووس وغيرهم، والتي قام الشيخ عباس القمي بجمعها في كتاب (مفاتيح الجنان) في العشرينات من القرن العشرين. وهي أدعية وزيارات تحيط بالإنسان الشيعي الملتزم من الولادة حتى الوفاة وحتى بعد الدفن، وتشمل معظم ساعات يومه وأيام اسبوعه وشهره وسنته، منذ أن يقوم الى صلاة الليل وقبل وبعد أن يؤدي صلاة الفجر، وعندما يرى نور الشمس ودخول الظلام، وكذلك عندما يقوم بزيارة قبور الأئمة ولا سيما الامام علي بن أبي طالب في النجف، أو الامام الحسين في كربلاء.

وكل هذه الأدعية والزيارات تنطوي على نظرة خاصة معظمة لأئمة أهل البيت الاثني عشر، وتذكر أسماءهم واحدا واحدا، دون أن تأبه أو تتوقف عند الاختلافات والأسئلة التاريخية التي

فرقت بين الشيعة الزيدية والامامية، أو الإسماعيلية والواقفية والفطحية والموسوية، أو ما حدث من حيرة كبرى في صفوف شيعة العسكري بعد وفاته، وتروي التاريخ الشيعي أو بالأحرى تاريخ الأئمة بعيون الفرقة الإثني عشرية التي ولدت في القرن الرابع الهجري على يدي الشيخ المفيد (ت 413هـ).

وكما يؤكد المحدثون الاثنا عشريون ولا سيما الشيخ عباس القمي فان معظم هذه الأدعية والزيارات وردت عن طريق (النواب الأربعة) الذين ادعوا السفارة عن (الامام الغائب محمد بن الحسن العسكري) ولا سيما النائب الثاني (محمد بن عثمان بن سعيد العمري) أو عن بعض المحدثين المعاصرين والمؤيدين لهم، الذين رووا بعض الأدعية والزيارات عن الأئمة السابقين : محمد الباقر، وجعفر الصادق، وموسى الكاظم، وعلي الرضا، وعلي الهادي.

ولا تقتصر تلك الأدعية والزيارات على إثبات الامامة الإلهية للأئمة فقط، وانما تتضمن أيضا معان مغالية جدا ترفع الأئمة فوق مستوى الأنبياء وتكاد تشركهم مع الله في إدارة الكون والرزق والحياة والموت، مما يؤكد تلفيقها من قبل بعض الغلاة الذين كانوا يحيطون بالأئمة، ونسبتها اليهم كذبا وزورا.

دعاء رجب

ولعل أبرز مثل على ذلك ما يرويه القمي في (مفاتيح الجنان) من دعاء أيام رجب، حيث يقول: روى الشيخ (الطوسي) في (مصباح المتهجد) : أنه خرج **هذا التوقيع الشريف** من الناحية المقدسة على يد الشيخ الكبير أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد: أُدع في كل يوم من أيام رجب :
"...اللّهُمَّ إِنّي أَسْأَلُكَ بِمَعانِي جَمِيعِ ما يَدْعُوكَ بِهِ **وُلاةَ أَمْرِكَ المَأْمُونُونَ عَلى سِرِّكَ** المُسْتَبْشِرُونَ بِأَمْرِكَ الواصِفُونَ لِقُدْرَتِكَ المُعْلِنُونَ لِعَظَمَتِكَ ، **أَسْأَلُكَ بِما نَطَقَ فِيهِمْ مِنْ مَشِيَّتِكَ فَجَعَلْتَهُمْ مَعادِنَ لِكَلِماتِكَ وَأَرْكانا لِتَوْحِيدِكَ وَآياتِكَ وَمَقاماتِكَ الَّتِي لا تَعْطِيلَ لَها فِي كُلِّ مَكانٍ** يَعْرِفُكَ بِها مَنْ عَرَفَكَ ، **لا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَها إِلاّ أَنَّهُمْ عِبادُكَ وَخَلْقُكَ ...** ".

وكما يلاحظ فان هذا الدعاء يصف الأئمة بأنهم ولاة الأمر، كأمر مسلم لا يحتاج الى نقاش، ولا يكتفي باعطائهم الولاية السياسية، وانما يضفي عليهم طابعا إلهيا يجعلهم معادن لكلمات الله والذوبان في الله بحيث لا يبقى فرق بينهم وبين الله "الا انهم عبادك وخلقك"!.

حديث الكساء

ويعزز هذه الصورة (الإلهية) الفريدة فوق السياسية لأهل البيت، الحديث المعروف بحديث الكساء، والذي ترويه بعض المصادر الشيعية المتأخرة باضافات كثيرة عما يرويه محدثو أهل

السنة، وهو كما يرويه تلميذ المجلسي، عبد الله بن نور الله البحراني في كتابه "عَوالِم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال" مرسلا عن جابر بن عبد الله الأنصاري أَنّه قال: سمعت فَاطِمَةَ ٱلزَّهْرَاءِ (ع) بِنتِ رَسُول اللهِ (ص) أَنَّهَا قَالَتْ:

"دَخَلَ عَلَيَّ أَبِي رَسُولُ اللهِ (ص) فِي بَعْضِ ٱلأَيَّامِ ... فَقَالَ: يَا فَاطِمَةُ ٱئْتِيْنِي بِالْكِسَاءِ الْيَمَانِي فَغَطِّينِي بِهِ، فَأَتَيتُهُ بِالْكِسَاءِ الْيَمَانِي فَغَطَّيْتُهُ بِهِ ... فَلَمَّا ٱكْتَمَلْنَا جَمِيعاً تَحْتَ الْكِسَاءِ أَخَذَ أَبِي رَسُولُ اللهِ بِطَرَفَيِّ الْكِسَاءِ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ الْيُمْنَىٰ إِلَىٰ ٱلسَّمَاءِ **وَقَالَ: أَللّهُمَّ إِنَّ هٰؤُلاَءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي وَحَامَّتِي... فَٱجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَبَرَكَاتِكَ وَرَحمَتَكَ وغُفْرَانَكَ وَرِضْوَانَكَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ وَأَذْهِبْ عَنْهُمُ ٱلرَّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً.**

فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا مَلاَئِكَتِي وَيَا سُكَّانَ سَمَاوَاتِي إِنِّي مَا خَلَقْتُ سَمَاءً مَبْنِيَّةً وَلاَ أَرْضاً مَدْحِيَّةً وَلاَ قَمَراً مُنِيراً وَلاَ شَمْساً مُضِيئَةً وَلاَ فَلَكاً يَدُورُ وَلاَ بَحْراً يَجْرِي وَلاَ فُلْكاً يَسْرِي إِلاَّ فِي مَحَبَّةِ هٰؤُلاَءِ الْخَمْسَةِ ٱلَّذِينَ هُم تَحْتَ الْكِسَاءِ.

وكما يلاحظ فان هذا الحديث الذي لم يوجد في المصادر الشيعية القديمة، يحاول:

1. إضفاء صفة الخلافة للنبي على الامام علي.
2. إدخال فاطمة وبعلها وبنيها في آية التطهير، النازلة أساسا في زوجات النبي.
3. إضفاء القدسية على جميع العائلة بدخول جبرئيل معهم تحت الكساء.
4. رفع درجتهم فوق جميع الأنبياء والمرسلين السابقين.
5. خلق الكون من أجلهم.

وهذه مفاهيم مغالية لم ترد في القرآن الكريم ، ولا في المصادر الشيعية القديمة، ولا في حديث الكساء كما يرويه مسلم، ولكنها ترسم صورة لا مثيل لها عن (أهل البيت) في الذهنية الشيعية الشعبية، تستغني عن أي بحث في الأدلة والبراهين التي تؤسس لنظرية إمامة الأئمة من أهل البيت.

الصلوات الشعبانية

واذا صرفنا النظر عن المستوى العالي من الغلو الذي تتضمنه تلك الأحاديث، فان الأدعية والصلوات والزيارات المختلفة التي يخاطب فيها زوار المراقد الأئمة، تنطوي هي الأخرى على مفاهيم مشابهة تكرس الصورة (الإلهية) لأئمة أهل البيت، كما في (**الصلوات الشعبانية) التي** يصلّي بها عند كل زوال من أيام شعبان، وفي ليلة النصف منه:

"اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ شَجَرَةِ النُّبُوَّةِ وَمَوْضِعِ الرِّسالَةِ وَمُخْتَلَفِ المَلائِكَةِ وَمَعْدِنِ العِلْمِ وَأَهْلِ بَيْتِ الوَحْيِ...الفُلْكِ الجارِيَةِ فِي اللُّجَجِ الغامِرَةِ يَأْمَنُ مَنْ رَكِبَها وَيَغْرَقُ مَنْ تَرَكَها المُتَقَدِّمُ لَهُمْ مارِقٌ وَالمُتَأَخِرُ عَنْهُمْ زاهِقٌ وَاللازِمُ لَهُمْ لاحِقٌ ... اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الطَّيِّبِينَ الأَبْرارِ الأَخْيارِ **الَّذِينَ أَوْجَبْتَ حُقُوقَهُمْ وَفَرَضْتَ طاعَتَهُمْ وَوِلايَتَهُمْ**".

ونجد في زيارة النبي (ص) هذه الفقرة التي تلخص نظرية الامامة: "أَشْهَدُ يا رَسُولَ الله أَنِّي مُؤْمِنٌ بِكَ وَبِالأَئِمَّةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، َالحُجَّةُ عَلىٰ أَهْلِ الدُّنْيا".

ونجد نفس المفهوم في زيارة الامام علي مكررا بكثافة:

السَّلامُ عَلىٰ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَبْدِ الله وَأَخِي رَسُولِ اللهِ . السَّلامُ عَلَيْكَ يا وَلِيَّ الله أَنْتَ أَوَّلُ مَظْلُومٍ وَأَوَّلُ مَنْ غُصِبَ حَقُّهُ صَبَرْتُ وَاحْتَسَبْتَ حَتّىٰ أَتاكَ اليَقِينُ

اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَبْدِكَ وَخَيْرِ خَلْقِكَ بَعْدَ نَبِيِّكَ وَأَخِي رَسُولِكَ وَوَصِيِّ حَبِيبِكَ الَّذِي انْتَجَبْتَهُ مِنْ خَلْقِكَ، اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ الأَئِمَّةِ مِنْ وُلْدِهِ القَوَّامِينَ بِأَمْرِكَ مِنْ بَعْدِهِ المُطَهَّرِينَ الَّذِينَ ارْتَضَيْتَهُمْ أَنْصاراً لِدِينِكَ وَحَفَظَةً لِسِرِّكَ . السَّلامُ عَلىٰ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِىٰ طالِبٍ وَصِيِّ رَسُولِ الله وَخَلِيفَتِهِ وَالقائِمِ بِأَمْرِهِ مِنْ بَعْدِهِ سَيِّدِ الوَصِيِّينَ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ. صَلّىٰ الله عَلَيْكَ وَعَلىٰ الأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِكَ . السَّلامُ عَلىٰ المَوْلُودِ فِي الكَعْبَةِ المُزَوَّجِ فِي السَّماء... السَّلامُ عَلىٰ مَنْ رُدَّتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ حِينَ تَوارَتْ بِالحُجابِ، السَّلامُ عَلىٰ مَنْ خاطَبَهُ جَبْرائِيلُ بِإِمْرَةِ المؤْمِنِينَ بِغَيْرِ ارْتِيابٍ وَ رَحْمَةُ الله وَ َ بَرَكاتُهُ ،

اللّهُمَّ هذا قَبْرُ وَلِيِّكَ الَّذِي فَرَضْتَ طاعَتَهُ وَجَعَلْتَ فِي أَعْناقِ عِبادِكَ مُبايَعَتَهُ وَخَلِيفَتِكَ الَّذِي بِهِ تَأْخُذُ وَتُعْطِي وَبِهِ تُثِيبُ وَتُعاقِبُ .

زيارة يوم الغدير:

"أَشْهَدُ أَنَّكَ أَخُو رَسُولِ الله وَوَصِيُّهُ وَوارِثُ عِلْمِهِ وَأَمِينُهُ عَلىٰ شَرْعِهِ وَخَلِيفَتُهُ فِي أُمَّتِهِ وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِالله وَصَدَّقَ بِما أُنْزِلَ عَلىٰ نَبِيِّهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ عَنِ الله ماأَنْزَلَهُ فِيكَ فَصَدَعَ بِأَمْرِهِ وَأَوْجَبَ عَلىٰ أُمَّتِهِ فَرْضَ طاعَتِكَ وَوِلايَتِكَ وَعَقَدَ عَلَيْهِمْ البَيْعَةَ لَكَ وَجَعَلَكَ أَوْلىٰ بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ

أَنْفِسِهِمْ كَما جَعَلَهُ اللهُ كَذلِكَ، فَلَعَنَ اللهُ جاحِدَ وِلايَتِكَ بَعْدَ الإقْرارِ وَناكِثَ عَهْدِكَ بَعْدَ المِيثاقِ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ الحَقُّ الَّذِي نَطَقَ بِولايَتِكَ التَّنْزِيلُ وَأَخَذَ لَكَ العَهْدَ عَلىٰ الأُمَّهِ بِذلِكَ الرَّسُولُ،

أَشْهَدُ يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ أَنَّ الشَّاكَّ فِيكَ ما آمَنَ بِالرَّسُولِ الاَمِينِ وَأَنَّ العادِلَ بِكَ غَيْرَكَ عانِدٌ (١) عَنِ الدِّينِ القَوِيمِ الَّذِي ارْتَضاهُ لَنا رَبُّ العالَمِينَ وَأَكْمَلَهُ بِوِلايَتِكَ يَوْمَ الغَدِيرِ ، وَأَنَّكَ عَبْدُ اللهِ وَوَلِيُّهِ وَأَخُو الرَّسُولِ وَوَصِيُّهِ وَوارِثُهِ وَأَنَّهُ القائِلُ لَكَ وَالَّذي بَعَثَنِي بِالحَقِّ ما آمَنَ بِي مَنْ كَفَرَ بِكَ وَلا أَقَرَّ بِاللهِ مَنْ جَحَدَكَ وَقَدْ ضَلَّ مَنْ صَدَّ عَنْكَ وَلَمْ يَهْتَدِ إِلىٰ اللهِ وَلا إِلىٰ مَنْ لايَهْتَدِي بِكَ،

مَوْلايَ أَنْتَ الحُجَّةُ عَلىٰ العِبادِ **فَلَعَنَ اللهُ مُسْتَحِلِّي الحُرْمَةِ مِنْكَ وَذائِدِي الحَقِّ عَنْكَ، وَأَشْهَدُ أَنَّهُمْ الاَخْسَرُونَ الَّذِينَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيها كالِحُونَ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ ماأَقْدَمْتَ وَلاأَحْجَمْتَ وَلانَطَقْتَ وَلا أَمْسَكْتَ إِلَّا بِأَمْرٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ؛ فَلَعَنَ اللهُ مَنْ ساواكَ بِمَنْ ناواكَ وَ اللهُ جَلَّ اسْمُهُ يَقُولُ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ فَلَعَنَ اللهُ مَنْ عَدَلَ بِكَ مَنْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ وَلايَتَكَ**

اللّهُمَّ العَنْ قَتَلَةَ أَنْبِيائِكَ وَأَوْصِياء أَنْبِيائِكَ بِجَمِيعِ لَعَناتِكَ وَأَصْلِهِمْ حَرَّ نارِكَ، وَالعَنْ مَنْ غَصَبَ وَلِيَّكَ حَقَّهُ وَأَنْكَرَ عَهْدَهُ وَجَحَدَهُ بَعْدَ اليَقِينِ وَالإقْرارِ بِالوِلايَةِ لَهُ يَوْمَ أَكْمَلْتَ لَهُ الدِّينَ، اللّهُمَّ الْعَنْ أَوَّلَ ظالِمٍ ظَلَمَ آلَ مُحَمَّدٍ وَمانِعِيهِمْ حُقُوقَهُمْ، اللّهُمَّ خُصَّ أَوَّلَ ظالِمٍ وَغاصِبٍ لالِ مُحَمَّدٍ بِاللَّعْنِ وَكُلَّ مُسْتَنٍّ بِما سَنَّ إِلىٰ يَوْمِ القِيامَةِ.

وتتكرر نفس المعاني، ونفس النظرات التي وردت في زيارة الامام علي، في الزيارات المختلفة التي تقرأ عند ضريح الامام الحسين، وتزيد عليها، مثل:

- (زيارة وارث) التي جاء فيها: "السَّلامُ عَلَيْكَ ياحُجَّةَ اللهِ وَابْنَ حُجَّتِهِ...أَشْهَدُ أَنَّكَ حُجَّةُ اللهِ وَابْنُ حُجَّتِهِ... بِكُمْ فَتَحَ اللهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ اللهُ وَبِكُمْ يَمْحُو مايَشاءُ وَيُثْبِتُ... لُعِنَتْ اُمَّةٌ قَتَلَتْكُمْ وَاُمَّةٌ خالَفَتْكُمْ وَاُمَّةٌ جَحَدَتْ وِلايَتَكُمْ".

الزيارة الجامعة

وتتكرر هذه المعاني في كثير من الأدعية والزيارات المختلفة، التي تحيط بالإنسان الشيعي، ولا تسمح له بالتفكير أو السؤال عن أدلة الامامة، ولا سيما عندما يوصي الراوي بأداء الزيارة بصورة طقسية خاصة مفعمة بالإيحاء والرهبة والتعظيم والتقديس، كهذه (الزيارة الجامعة) التي تتلى عند

جميع مراقد الأئمة، والمروية عن **الامام عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ** (الهادي) وهي (زيارة) طويلة جدا وتنطوي على الأمور التالية:

- **أَهْلَ البَيْتِ هم مَوْضِعَ الرِّسَالَةِ وَمُخْتَلَفَ الْمَلَائِكَةِ وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ وَخُزَّانَ الْعِلْمِ وَقَادَةَ الْأُمَمِ وَسَاسَةَ الْعِبَادِ وَأَبْوَابَ الْإِيمَانِ وَأُمَنَاءَ الرَّحْمَنِ وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ . وانهم وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَحُجَجِ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأُولَى. ومَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَحَفَظَةِ سِرِّ اللَّهِ وَأَوْصِيَاءِ نَبِيِّ اللَّهِ. الَّذِينَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ . والْأَئِمَّةُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ الْمَعْصُومُونَ الْمُصْطَفَوْنَ بِعِلْمِهِ الذين ارْتَضَاهمْ لِغَيْبِهِ وَاخْتَارَهمْ لِسِرِّهِ وَاجْتَبَاهمْ بِقُدْرَتِهِ وَرَضِيَهمْ خُلَفَاءَ فِي أَرْضِهِ وَحُجَجاً عَلَى بَرِيَّتِهِ وعَصَمَهمُ اللَّهُ مِنَ الزَّلَلِ وَطَهَّرَهمْ مِنَ الدَّنَسِ وَأَذْهَبَ عَنْهمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرَهمْ تَطْهِيراً.الرَّاغِبُ عَنْهمْ مَارِقٌ وَاللَّازِمُ لَهمْ لَاحِقٌ وَالْمُقَصِّرُ فِي حَقِّهمْ زَاهِقٌ وَالْحَقُّ وان إِيَابُ الْخَلْقِ إِلَيْهمْ وَحِسَابُهُمْ عَلَيْهمْ وَفَصْلُ الْخِطَابِ عِنْدَكُمْ ، مَنْ وَالاكُمْ فَقَدْ وَالَى اللَّهَ وَمَنْ عَادَاكُمْ فَقَدْ عَادَى اللَّهَ وَمَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ وَمَنِ اعْتَصَمَ بِكُمْ فَقَدِ اعْتَصَمَ بِاللَّهِ. أَنْتُمُ الصِّرَاطُ الْأَقْوَمُ وَشُهَدَاءُ دَارِ الْفَنَاءِ وَشُفَعَاءُ دَارِ الْبَقَاءِ مَنْ أَتَاكُمْ نَجَا وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكَ. خَابَ مَنْ جَحَدَكُمْ وَضَلَّ مَنْ فَارَقَكُمْ وَفَازَ مَنْ تَمَسَّكَ بِكُمْ وَأَمِنَ مَنْ لَجَأَ إِلَيْكُمْ وَسَلِمَ مَنْ صَدَّقَكُمْ وَهُدِيَ مَنِ اعْتَصَمَ بِكُمْ مَنِ اتَّبَعَكُمْ فَالْجَنَّةُ مَأْوَاهُ وَمَنْ خَالَفَكُمْ فَالنَّارُ مَثْوَاهُ وَمَنْ جَحَدَكُمْ كَافِرٌ وَمَنْ حَارَبَكُمْ مُشْرِكٌ وَمَنْ رَدَّ عَلَيْكُمْ فِي أَسْفَلِ دَرْكٍ مِنَ الْجَحِيمِ.**
- **أَنَّ أَرْوَاحَكُمْ وَنُورَكُمْ وَطِينَتَكُمْ وَاحِدَةٌ طَابَتْ وَطَهُرَتْ خَلَقَكُمُ اللَّهُ أَنْوَاراً فَجَعَلَكُمْ بِعَرْشِهِ مُحْدِقِينَ.**
- **بَلَغَ اللَّهُ بِكُمْ أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكَرَّمِينَ وَأَرْفَعَ دَرَجَاتِ الْمُرْسَلِينَ حَتَّى لَا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا صِدِّيقٌ وَلَا شَهِيدٌ .. وَلَا خَلْقٌ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ شَهِيدٌ إِلَّا عَرَّفَهُمْ جَلَالَةَ أَمْرِكُمْ وَعِظَمَ خَطَرِكُمْ وَكِبَرَ شَأْنِكُمْ .**
- **مُؤْمِنٌ بِإِيَابِكُمْ مُصَدِّقٌ بِرَجْعَتِكُمْ مُنْتَظِرٌ لِأَمْرِكُمْ مُرْتَقِبٌ لِدَوْلَتِكُمْ.**
- **بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ عز وجل مِنْ أَعْدَائِكُمْ وَمِنَ الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَالشَّيَاطِينِ وَحِزْبِهِمُ الظَّالِمِينَ لَكُمْ الْجَاحِدِينَ لِحَقِّكُمْ وَالْمَارِقِينَ مِنْ وَلَايَتِكُمْ وَالْغَاصِبِينَ لِإِرْثِكُمْ .**
- **مَنْ أَرَادَ اللَّهَ بَدَأَ بِكُمْ وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ**
- **بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ وَبِكُمْ ﴿يُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ وَبِكُمْ ﴿يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.**
- **بِمُوَالاتِكُمْ تُقْبَلُ الطَّاعَةُ الْمُفْتَرَضَةُ**
- **ائْتَمَنَكُمْ عَلَى سِرِّهِ وَاسْتَرْعَاكُمْ أَمْرَ خَلْقِهِ وَقَرَنَ طَاعَتَكُمْ بِطَاعَتِهِ**

- **مَنْ أَطَاعَكُمْ فَقَدْ ﴿أَطَاعَ اللهَ﴾ وَمَنْ عَصَاكُمْ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ.**

ورغم أن هذه (الزيارة الجامعة) تتضمن مخالفة صريحة للقرآن الكريم الذي يقول: " إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ". (الغاشية 25- 26) بينما تقول الزيارة: " **إِيَابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ وَحِسَابُهُمْ عَلَيْكُمْ وَفَصْلُ الْخِطَابِ عِنْدَكُمْ ". فان الخوئي** لا يشك بصحتها، لأنها مروية عن الامام علي الهادي. وكما يقول الشيخ أحمد زين الدين الأحسائي، مؤسس الفرقة الشيخية الكشفية: "**ان هذه الزيارة الجامعة اشتهرت بين الشيعة حتي استغنت باشتهارها عن ذكر اثباتها و بيان سندها فكانت متلقاة عند جميع الشيعة بالقبول من غير معارض فيها و لا راد لها مع ما كانت مشتملة عليه من المعاني الغريبة و الاسرار المستصعبة العجيبة. (شرح الزيارة الجامعة)**

وبالإضافة الى (الزيارات) هناك أدعية أخرى وطقوس يؤديها المتدينون الشيعة، مثل أدعية أيّام الأسبوع، وأعمال ليلة الجمعة ونهارها ، مثل **دعاء التوسل: "يا مُحَمَّدُ يا عَلِيُّ يا عَلِيُّ يا مُحَمَّدُ، إِكْفِيانِي فَإِنَّكُما كافِياي، يا مُحَمَّدُ يا عَلِيُّ يا عَلِيُّ يا مُحَمَّدُ، أُنْصُرانِي فَإِنَّكُما ناصِراي، يا مُحَمَّدُ يا عَلِيُّ يا عَلِيُّ يا مُحَمَّدُ إِحْفَظانِي فَإِنَّكُما حافِظاي، يا مَوْلايَ يا صاحِبَ الزَّمانِ، يا مَوْلايَ يا صاحِبَ الزَّمانِ، يا مَوْلايَ يا صاحِبَ الزَّمانِ، الغَوْثَ الغَوْثَ الغَوْثَ، أَدْرِكْنِي أَدْرِكْنِي أَدْرِكْنِي، الْأَمانَ الْأَمانَ الْأَمانَ".**

والسلام على (صاحِب الزَّمان) يوم الجمعة: **"السَّلامُ عَلَيْكَ يا حُجَّةَ اللهِ فِي أَرْضِهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا عَيْنَ اللهِ فِي خَلْقِهِ... وَأَنْتَظِرُ ظُهُورَكَ وَظُهُورَ الْحَقِّ عَلىٰ يَدَيْكَ، وَأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ يَجْعَلَنِي مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ لَكَ وَالتَّابِعِينَ وَالنَّاصِرِينَ لَكَ عَلىٰ أَعْدائِكَ، وَالْمُسْتَشْهَدِينَ بَيْنَ يَدَيْكَ فِي جُمْلَةِ أَوْلِيائِكَ".**

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُرِيَنِي وَلِيَّ أَمْرِكَ ظَاهِراً نَافِذَ الْأَمْرِ،

اللَّهُمَّ وَ لا تَسْلُبْنَا الْيَقِينَ لِطُولِ الْأَمَدِ فِي غَيْبَتِهِ وَ انْقِطَاعِ خَبَرِهِ عَنَّا، وَ لا تُنْسِنَا ذِكْرَهُ وَ انْتِظَارَهُ، وَالْإِيمَانَ بِهِ وَ قُوَّةَ الْيَقِينِ فِي ظُهُورِهِ وَ الدُّعَاءَ لَهُ وَ الصَّلاةَ عَلَيْهِ، حَتَّى لا يُقَنِّطَنَا طُولُ غَيْبَتِهِ مِنْ قِيَامِهِ، وَ يَكُونَ يَقِينُنَا فِي ذَلِكَ كَيَقِينِنَا فِي قِيَامِ رَسُولِكَ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، وَ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ وَحْيِكَ وَ تَنْزِيلِكَ، فَقَوِّ قُلُوبَنَا عَلَى الْإِيمَانِ بِهِ حَتَّى تَتَوَفَّانَا وَ نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ لا شَاكِّينَ وَ لا نَاكِثِينَ وَ لا مُرْتَابِينَ وَ لا مُكَذِّبِينَ ،اللَّهُمَّ عَجِّلْ فَرَجَهُ وَ أَيِّدْهُ بِالنَّصْرِ، وَانْصُرْ نَاصِرِيهِ، وَاخْذُلْ خَاذِلِيهِ، وَ

دَمْدِمْ عَلَى مَنْ نَصَبَ لَهُ وَ كَذَّبَ بِهِ، وَ أَظْهِرْ بِهِ الْحَقَّ وَ أَمِتْ بِهِ الْجَوْرَ وَاسْتَنْقِذْ بِهِ عِبَادَكَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الذُّلِّ، وَانْعَشْ بِهِ الْبِلادَ وَ اقْتُلْ بِهِ جَبَابِرَةَ الْكُفْرِ،

فَإِنَّهُ عَبْدُكَ الَّذِي اسْتَخْلَصْتَهُ لِنَفْسِكَ وَ ارْتَضَيْتَهُ لِنَصْرِ دِينِكَ، وَ اصْطَفَيْتَهُ بِعِلْمِكَ،

اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ الْأَئِمَّةِ الطَّاهِرِينَ،

اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ فَقْدَ نَبِيِّنَا، وَ غَيْبَةَ إِمَامِنَا ، وَشِدَّةَ الزَّمَانِ عَلَيْنَا، وَوُقُوعَ الْفِتَنِ بِنَا وَ تَظَاهُرَ الْأَعْدَاءِ عَلَيْنَا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا وَقِلَّةَ عَدَدِنَا، ... اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَأْذَنَ لِوَلِيِّكَ فِي إِظْهَارِ عَدْلِكَ فِي عِبَادِكَ، وَ قَتْلِ أَعْدَائِكَ فِي بِلادِكَ، حَتَّى لا تَدَعَ لِلْجَوْرِ يَا رَبِّ دِعَامَةً إِلا قَصَمْتَهَا، وَلا بَقِيَّةً إِلّا أَفْنَيْتَهَا، وَلا قُوَّةً إِلا أَوْهَنْتَهَا، وَلا رُكْنا إِلّا هَدَمْتَهُ، وَلا حَدّاً إِلّا فَلَلْتَهُ، وَلا سِلاحاً إِلّا أَكْلَلْتَهُ، وَلا رَايَةً إِلّا نَكَّسْتَهَا".

دعاء الاستغاثة بالحجة (ع):

سَلامُ الله الكامِلُ التَّامُّ الشَّامِلُ العامُّ عَلىٰ حُجَّةِ الله وَوَلِيِّهِ فِي أَرْضِهِ وَبِلادِهِ وَخَلِيفَتِهِ عَلىٰ خَلْقِهِ وَعِبادِهِ وَسُلالَةِ النُّبوَّةِ وَبَقِيَّةِ العِتْرَةِ وَالصَّفْوَةِ، صاحِبِ الزَّمانِ الحُجَّةِ القائِمِ المَهْدِيِّ الإمام المُنْتَظَرِ المَرْضِيِّ وَابْنِ الاَئِمَّةِ الطَّاهِرِينَ الوَصِيِّ بْنِ الأَوْصِياء المَرْضِيِّينَ الهادِي المَعْصُومِ ابْنِ الاَئِمَّةِ الهُداةِ المَعْصُومِينَ.

السَّلامُ عَلَيْكَ يا بْنَ الاَئِمَّةَ الحُجَجِ المَعْصُومِينَ وَالإمام عَلىٰ الخَلْقِ أَجْمَعِينَ أَشْهَدُ أَنَّكَ الإمام المَهْدِيُّ قَوْلاً وَفِعْلاً وَأَنْتَ الَّذِي تَمْلاءُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً بَعْدَ ما مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً... يا مَوْلايَ ياصاحِبَ الزَّمانِ، ياابْنَ رَسُولِ الله حاجَتِي كَذا وَكَذا (واذكر حاجتك عوض كذا وكذا) فَاشْفَعْ لِي فِي نَجاحِها فَقَدْ تَوَجَّهْتُ إِلَيْكَ بِحاجَتِي لِعِلْمِي أَنَّ لَكَ عِنْدَ الله شَفاعَةً مَقْبُولَةً وَمَقاما مَحْمُوداً، فَبِحَقِّ مَنْ اخْتَصَّكُمْ بِأَمْرِهِ وَارْتَضاكُمْ لِسِرِّهِ وَبِالشَّأْنِ الَّذِي لَكُمْ عِنْدَ الله بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سَلِ الله تَعالىٰ فِي نُجْحِ طَلِبَتِي وَإِجابَةِ دَعْوَتِي وَكَشْفِ كُرْبَتِي ، وسل ماتريد فإنه يقضىٰ إن شاءالله .

دعاء الافتتاح:

أن يدعو في كُل لَيلَة مِن رَمَضان بهذا الدُّعاء:

اللّهُمَّ وَصَلِّ عَلىٰ عَلِيٍّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ وَوَصِيِّ رَسُولِ رَبِّ العالَمِينَ عَبْدِكَ وَوَلِيِّكَ وَأَخِي رَسُولِكَ وَحُجَّتِكَ عَلىٰ خَلْقِكَ وَآيَتِكَ الكُبْرىٰ وَالنَّبَأ العَظِيمِ، وَصَلِّ عَلىٰ سِبْطَيِ الرَّحْمَةِ وَإِمامَيِ الهُدىٰ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ سَيِّدَيْ شَبابِ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَصَلِّ عَلىٰ أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ

اللّهُمَّ وَصَلِّ عَلىٰ وَلِيِّ أَمْرِكِ القائِمِ المُؤَمَّلِ وَالعَدْلِ المُنْتَظَرِ وَحُفَّهُ بِمَلائِكَتِكَ المُقَرَّبِينَ وَأَيِّدْهُ بِرُوحِ القُدُسِ يارَبَّ العالَمِينَ، اللّهُمَّ اجْعَلْهُ الدَّاعِيَ إِلىٰ كِتابِكَ وَالقائِمَ بِدِينِكَ اسْتَخْلِفْهُ فِي الأَرْضِ كَما اسْتَخْلَفْتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِ مَكِّنْ لَهُ دِينَهُ الَّذِي ارْتَضَيْتَهُ لَهُ أَبْدِلْهُ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِ أَمْنا يَعْبُدُكَ لايُشْرِكُ بِكَ شَيْئاً، اللّهُمَّ أَعِزَّهُ وَأَعْزِزْ بِهِ وَانْصُرْهُ وَانْتَصِرْ بِهِ وَانْصُرْهُ نَصْراً عَزِيزاً وَافْتَحْ لَهُ فَتْحاً يَسِيراً وَاجْعَلْ لَهُ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيراً، اللّهُمَّ أَظْهِرْ بِهِ دِينَكَ وَسُنَّةَ نَبِيِّكَ حَتَّىٰ لا يَسْتَخْفِي بِشَيْءٍ مِنَ الحَقِّ مَخافَةَ أَحَدٍ مِنَ الخَلْقِ اللّهُمَّ إِنا نَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ تُعِزُّ بِها الإِسْلامَ وَأَهْلَهُ وَتُذِلُّ بِها النِّفاقَ وَأَهْلَهُ، وَتَجْعَلُنا فِيها مِنَ الدُّعاةِ إِلىٰ طاعَتِكَ وَالقادَةِ إِلىٰ سَبِيلِكَ وَتَرْزُقُنا بِها كَرامَةَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ الحُجَّةِ بْنِ الحَسَنِ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آبائِه فِي هذِهِ السّاعَةِ وَفِي كُلِّ ساعةٍ وَلِيّاً وَحافِظاً وَقائِداً وَناصِراً وَدَلِيلاً وَعَيْناً حَتّىٰ تُسْكِنَهُ

أَرْضَكَ طَوْعاً وَتُمَتِّعَهُ فِيْها طَوِيلاً.

زيارة الإمام المهدي

السَّلامُ عَلَيْكَ ياخَلِيفَةَ الله وَناصِرَ حَقِّهِ ياحُجَّةَ الله وَدَلِيلَ إِرادَتِهِ أَيُّها العَلَمُ المَنْصُوبُ وَالعِلْمُ المَصْبُوبُ وَالغَوْثُ وَالرَّحْمَةُ الواسِعَةُ

أَشْهَدُ أَنَّ الله اصْطَفاكَ صَغِيراً وَأَكْمَلَ لَكَ عُلُومَهُ كَبِيراً وَأَنَّكَ حَيٌّ لا تَمُوتَ حَتّىٰ تُبْطِلَ الجِبْتَ وَالطَّاغُوتَ، ... اللّهُمَّ كَما جَعَلْتَ قَلْبِي بِذِكْرِهِ مَعْمُوراً فَاجْعَلْ سِلاحِي بِنُصْرَتِهِ مَشْهُوراً، وَإِنْ حالَ بَيْنِي وَبَيْنَ لِقائِهِ المَوْتُ الَّذِي جَعَلْتَهُ عَلىٰ عِبادِكَ حَتْما وَأَقْدَرْتَ بِهِ عَلىٰ خَلِيقَتِكَ رَغْما فَابْعَثْنِي عِنْدَ خُرُوجِهِ ظاهِراً مِنْ حُفْرَتِي مُؤْتَزِراً كَفَنِي حَتّىٰ أُجاهِدَ بَيْنَ يَدَيْهِ

ويلقَّن الميت بالشهادتين والاقرار بالأئمة عليهم السلام واحداً واحداً ويلقّن كلمات الفرج وهي:
وينبغي أن يكتب علىٰ الاكفان كلها، أي كل واحد منها :فُلانُ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لاشَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله وَأَنَّ عَلِيّاً أَميرُ المُؤْمِنِينَ وَالأَئِمَّةِ مِنْ وُلْدِهِ ، ويكتب أسماء الأئمة كلها ثم يكتب: أئمته أئمة الهُدىٰ الابرار .

ويستحب أن يلقن الميت الشهادتين، وأسماء الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلامُ عند وضعه في القبر قبل تشريج اللبن عليه فيقول الملقّن: ُيا فلان بن فلان ويذكر اسم الميت واسم ابيه: اذْكُرِ العَهْدَ الَّذِي خَرَجْتَ عَلَيْهِ مِنْ دارِ الدُّنْيا: شَهادَةَ أنْ لا إلهَ إلَّا الله وَحْدَهُ لاشَريكَ لَهُ، وَأنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأنَّ عَلَيّاً أَميرُ المُؤْمِنِينَ وَالحَسَنَ وَالحُسَيْنَ ويذكر الأئمة عليهم السلام واحداً واحداً إلىٰ آخرهم أئمَّتُكَ أئمَّةُ الهُدَىٰ الابْرارُ،

وفي الاحاديث أنّ الميّت إذا لُقّن هذا التلقين قال منكر ونكير: قد لقنوه فلا حاجة إلىٰ سؤاله فلننصرف، فينصرفان عنه ولا يسألانه.

ثم يقول : أفَهِمْتَ يا فُلانُ . وفي الحديث أنّ الميّت يجيب بلىٰ فهمت.

وهكذا تحيط هذه الأدعية والزيارات بالإنسان الشيعي من مولده الى وفاته ودفنه في القبر، بصورة تعمل دائرة إعلامية تورث القطع واليقين بصحة الأئمة والامامة ووجود الامام الثاني عشر (المهدي المنتظر) ولا تدع للشك أن يتسرب الى قلب أحد.

ولا شك أن الخوئي كان يقرأ هذه الادعية والزيارات، ويعيش في أجوائها بين جموع المؤمنين الذين لا يفترون عن قراءتها.

وبالإضافة الى كل ذلك فان الجو الثقافي في الحوزة وفي المجتمع الشيعي في النجف، كثيرا ما يتداول قصص لقاء العلماء بالامام المهدي، عبر التاريخ، ككتاب (جنة المأوى في من فاز بلقاء الحجة في الغيبة الكبرى) للنوري الطبرسي ، وكتاب (اللقاء مع صاحب الزمان) لحسن الأبطحي، وما ينقله الشيخ عباس القمي في (مفاتيح الجنان) عن لقاء الحاج علي البغدادي بالامام المهدي في الطريق بين بغداد والكاظمية. وما يتناقله الناس حول مقامات الامام المهدي في مسجد السهلة في الكوفة، وفي مقبرة دار السلام، وفي كربلاء ، ومسجد جمكران في قم، وكل هذه القصص والآثار تورث "العلم واليقين" بوجود (الامام المهدي) في قلوب الناس، بحيث لا يحتاج بعدها الى أي بحث أو تحقيق، وحتى اذا قام أي انسان بالبحث في مسألة وجود المهدي، فانه يتأثر بالجو الإعلامي المحيط به مسبقا ولا يستطيع ان يبحث بصورة محايدة، بل يصل الى نفس النتيجة "التي لا شك فيها".

الباب الثالث:

الخوئي بين الاجتهاد والتقليد في علم الرجال

لا شك بأن علم الرجال علم مهم جدا كمقدمة للاجتهاد في العقيدة والفقه، وقد عني به الشيعة الامامية في زمان الأئمة من أهل البيت، وبعد رحيلهم في ما يسمى بالغيبة الصغرى والكبرى، وألف علماء الامامية عشرات الكتب في علم الرجال، من أجل التمييز بين الرجال الممدوحين الثقات والكذابين المذمومين والغلاة، والتمييز بالتالي بين الروايات الصحيحة والموضوعة على لسان أئمة أهل البيت، وقد بلغت تلك الكتب أكثر من مائة كتاب، ولكن لم يصلنا منها الا بضعة كتب.

وقد نقل مشايخ الطائفة الامامية الاثني عشرية كثيرا من نظرياتهم حول الامامة والاثني عشرية من رجال وثقوا بهم، ومن كتب اعتبروها موثوقة، ثم غلب على من جاء بعدهم من الفقهاء المتقدمين والمتأخرين التقليد، حتى لم يعد الكثير من الفقهاء يولون علم الرجال أية أهمية ولا يقتربون منه، في عملياتهم الاجتهادية، التي أصبحت أقرب الى التقليد منها الى الاجتهاد الحقيقي العميق.

وقد قام السيد أبو القاسم الخوئي، في كتابه (معجم رجال الحديث) بثورة في علم الرجال الشيعي المتوارث، فأعاد النظر في كثير من الرجال الممدوحين والمذمومين، وضعف من الرجال من مضى على توثيقه عدة قرون، كما وثق من مضى تضعيفه في أكثر الكتب الرجالية وأخطرها. **و**حاول إعادة النظر في القواعد الرجالية التي بني عليها المذهب الامامي والاثني عشري، وما يتفرع عليه من الاحكام الفقهية المأخوذة من النصوص المأثورة عنهم.

وناقش التوثيقات العامة التي اعتبرها بعض الفقهاء المتأخرين موجبا للتوثيق، نقاشا موضوعيا انتهى إلى **عدم اعتبارها وحجيتها،** وانتهى إلى القول

بضرورة النظر في سند كل رواية بحد ذاتها، فان توفرت فيها شروط الحجية اخذ بها، والا قام برفضها.

وقال الخوئي تحت عنوان: (الحاجة إلى علم الرجال): "**قد ثبت بالأدلة الأربعة حرمة العمل بالظن**، وأنه لا يجوز نسبة حكم إلى الله سبحانه ما لم يثبت ذلك بدليل قطعي، أو بما ينتهي إلى الدليل القطعي، وناهيك في ذلك قوله سبحانه: "**آلله أذن لكم أم على الله تفترون**". حيث دلت الآية المباركة على أن كل ما لم يثبت فيه إذن من الله تعالى، فنسبته إليه افتراء عليه سبحانه، كما ثبت بتلك الأدلة أن الظن بنفسه لا يكون منجزا للواقع، ولا معذرا عن مخالفته في ما نجز بمنجز، ويكفي في ذلك قوله تعالى: "ولا تقف ما ليس لك به علم"، وقوله تعالى: "وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا".

وان كل خبر عن معصوم لا يكون حجة، وإنما الحجة هو خصوص خبر الثقة أو الحسن. ومن الظاهر أن تشخيص ذلك لا يكون إلا بمراجعة علم الرجال ومعرفة أحوالهم وتمييز الثقة والحسن عن الضعيف. وكذلك الحال لو قلنا بحجية خبر العادل فقط. فإن الجزم بعدالة رجل أو الوثوق بها لا يكاد يحصل إلا بمراجعته.. ومن الغريب - بعد ذلك - إنكار بعض المتأخرين الحاجة إلى علم الرجال بتوهم أن كل رواية عمل بها المشهور فهي حجة. وكل رواية لم يعمل بها المشهور ليست بحجة، سواء أكانت رواتها ثقات أم ضعفاء".

واشتهر القول لديهم بأن العمل بالخبر الضعيف يكون جابرا لضعف سنده، كما ان إعراض المشهور عن الخبر الصحيح يسقطه عن الحجية، مما ينفي الحاجة إلى علم الرّجال، لأنّه بالرجوع إلى الفقه يظهر للمجتهد الخبر المعمول به، و الخبر المعرض عنه، وبناء على ذلك أعلن المحقق الشيخ رضا الهمداني (ت 1322) : أنه ليس من دأبه المراجعة إلى علم الرّجال الا في الفروع التي ليست مذكورة في الفقه! وسمعت شيخنا الأستاذ الشيخ محمد حسين النائيني - قدس سره - في مجلس بحثه يقول: "إن المناقشة في إسناد روايات الكافي حرفة العاجز".

الرد على الاخباريين

ورد الخوئي على الأخباريين قائلا: " ذهب جماعة من المحدثين إلى أن روايات الكتب الأربعة (الكافي، ومن لا يحضره الفقيه، والتهذيب والاستبصار) قطعية الصدور. وهذا القول باطل من أصله، إذ كيف يمكن دعوى القطع بصدور رواية رواها واحد عن واحد؟ ولا سيما أن في رواة الكتب الأربعة من هو معروف بالكذب والوضع... ودعوى القطع بصدقهم في خصوص روايات الكتب الأربعة - لقرائن دلت على ذلك - لا أساس لها، فإنها بلا بينة وبرهان... ولكن هذه الدعوى فارغة من وجوه: أولا: إن أصحاب الأئمة (ع) وإن بذلوا غاية جهدهم واهتمامهم في أمر الحديث وحفظه من الضياع والاندراس حسبما أمرهم به الأئمة (ع) إلا أنهم عاشوا في دور التقية، ولم يتمكنوا من نشر الأحاديث علنا، فكيف بلغت هذه الأحاديث حد التواتر أو قريبا منه!

ثانيا: إن... أرباب الأصول والكتب لم يكونوا كلهم ثقات وعدولا، فيحتمل فيهم الكذب. وإذا كان صاحب الأصل ممن لا يحتمل الكذب في حقه، فيحتمل فيه السهو والاشتباه".

وكان الاخباريون يعتقدون بأن روايات الكافي كلها صحيحة ولا مجال لرمي شئ منها بضعف سندها. لأن الكليني تعهد بتأليف كتاب جامع لفنون علم الدين بالآثار الصحيحة عن الصادقين (عليهم السلام).

ولكن الخوئي رد هذه الشبهة واستشهد بالروايات التي ينقلها الكليني في مقدمة كتابه (الكافي) عن الأئمة بضرورة عرض الأحاديث على كتاب الله "فما وافق كتاب الله عز وجل فخذوه، وما خالف كتاب الله فردوه" . مما يدل على أن الكليني لم يكن يعتقد صدور روايات كتابه عن المعصومين (ع) جزما".

"والمتحصل أنه لم تثبت صحة جميع روايات الكافي، بل لا شك في أن بعضها ضعيفة، بل إن بعضها يطمأن بعدم صدورها من المعصوم (ع)".

ورد الخوئي أيضا شبهة الأخباريين الذين يعتقدون بصحة كل ما في (من لا يحضره الفقيه) بناء على قول جامعه محمد بن علي الصدوق بأنه لم يورد في كتابه الا ما يحكم بصحته ، وما يعتقد أنه حجة بينه وبين ربه، وأن رواياته مستخرجة من الكتب المعول عليها والمشهورة والمروية عن مشايخه.

وقال: " **أن تصحيح أحد الاعلام المتقدمين رواية لا ينفع من يرى اشتراط حجية الرواية بوثاقة راويها أو حسنه، على أنا قد علمنا من تصريح** الصدوق نفسه ... **إنه يتبع في التضعيف والتصحيح شيخه ابن الوليد، ولا ينظر هو إلى حال الراوي نفسه، وأنه ثقة أو غير ثقة**... وعلى الجملة: إن أخبار الشيخ الصدوق عن صحة رواية وحجيتها إخبار عن رأيه ونظره، وهذا لا يكون حجة في حق غيره."

وأبدى الخوئي رأيه المشابه بكتب الشيخ الطوسي: (التهذيب، والاستبصار) وقال: "قد تحصل من جميع ما ذكرناه أنه لم تثبت صحة جميع روايات الكتب الأربعة، فلا بد من النظر في سند كل رواية منها، فإن توفرت فيها شروط الحجية أخذ بها، وإلا فلا. .. وإن دعوى القطع بصدور جميع روايات الكتب الأربعة من المعصومين (ع) واضحة البطلان. ويؤكد ذلك أن أرباب هذه الكتب بأنفسهم لم يكونوا يعتقدون ذلك".

واستعرض الخوئي، بعد ذلك، المعايير والمفاهيم المغلوطة التي يتشبث بها الكثير من المحدثين ، في التوثيق، وهي كما يلي:

1. **نص أحد المعصومين**

وقد قال:" انه مما تثبت به الوثاقة أو الحسن. وهذا لا إشكال فيه. إلا أن ثبوت ذلك يتوقف على إحرازه بالوجدان، أو برواية معتبرة... وربما يستدل بعضهم على وثاقة الرجل أو حسنه برواية ضعيفة أو برواية نفس الرجل، وهذا من الغرائب!! فإن الرواية الضعيفة غير قابلة للاعتماد عليها، كما أن في إثبات وثاقة الرجل وحسنه بقول نفسه دورا ظاهرا ".

وبالرغم من أن الخوئي تشدد في قبول توثيق (أحد المعصومين) لأحد من أصحابهم، الا انه بحث الموضوع في اطار المذهب الامامي، والتسليم المسبق بعصمة الأئمة، وكان ينبغي عليه أن يدخل بحيادية منذ البداية، ويبحث حجية كلام (الأئمة) وعصمتهم، ويتأكد من (نص النبي عليهم) قبل أن يؤكد ثبوت التوثيق من نصوصهم على أحد.

وكما هو معروف فقد اختلف الشيعة الى عشرات الفرق كالكيسانية والزيدية والامامية والاسماعيلية والفطحية والموسوية والواقفية والقطعية والاثني عشرية، ولم يكن جميع الشيعة يؤمنون بعصمة جميع الأئمة، بل كان يكذب بعضهم بعضا، ولا يعترف بعضهم ببعض الأئمة، ولذا كان عليه أن يبحث حجية كل امام قبل أن يعتبر كلامه حجة شرعية. ولكن الخوئي اعتمد على مشايخ الفرقة الامامية والاثني عشرية في الاعتقاد بعصمة (الأئمة الاثني عشر) وتوثيق رجالهم الراوين عن الأئمة، بالرغم من وجود احتمال ضعف وانحراف هؤلاء الرجال، الذين لا يوثقهم بقية الشيعة من الفرق الأخرى فضلا عن عامة المسلمين.

1. **توثيق جميع أصحاب الامام الصادق**

رفض الخوئي ما ذهب اليه المتأخرون من الأخباريين الذين وثقوا جميع أصحاب الامام الصادق البالغ عددهم أربعة آلاف راو. وناقش في هذا التوثيق العام . وقال: "هذه الدعوى غير قابلة للتصديق، فإنه إن أريد بذلك أن أصحاب الصادق (ع) كانوا أربعة آلاف كلهم كانوا ثقات: فهي تشبه دعوى أن كل من صحب النبي (ص) عادل، وقد عد الشيخ أبا جعفر الدوانيقي من أصحاب الصادق (ع) أ فهل يحكم بوثاقته بذلك؟ وكيف تصح هذه الدعوى مع أنه لا ريب في أن الجماعة المؤلفة من شتى الطبقات على اختلافهم في الآراء والاعتقادات يستحيل عادة أن يكون جميعهم ثقات...".

1. **توثيق أي شخص يقع في سند رواية رواها أحد أصحاب الاجماع**

ورفض الخوئي أيضا ما ذهب اليه الاخباريون كالشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت 1104) من "توثيق أي شخص يقع في سند رواية رواها أحد

أصحاب الاجماع، الثمانية عشر رجلا ، والحكم بصحة كل حديث رواه أحد هؤلاء إذا صح السند إليه، حتى إذا كانت روايته عمن هو معروف بالفسق والوضع، فضلا عما إذا كانت روايته عن مجهول أو مهمل، أو كانت الرواية مرسلة". وهو ما اختاره بصراحة، العاملي، في (وسائل الشيعة، في أوائل الفائدة السابعة من خاتمة كتابه).

وأكد الخوئي "أن هذه الدعوى فاسدة بلا شبهة، فإن أصحاب الاجماع قد رووا عن الضعفاء في عدة موارد...".

وانتقد الخوئي ما ذهب اليه الطوسي من قبول مراسيل ومسانيد بعض الرواة الضعيفة، باعتبار أنهم لا يروون الا عن ثقة، وان كانت الواسطة مجهولا أو مهملا. كما جاء في أواخر بحثه عن خبر الواحد في كتاب العدة...لكن هذه الدعوى باطلة، فإنها اجتهاد من الشيخ قد استنبطه من اعتقاده تسوية الأصحاب بين مراسيل هؤلاء ومسانيد غيرهم. وهذا لا يتم ".

وانتقد الخوئي أيضا **المحدث النوري الذي "اعتبر رواية مطلق الثقة عن أحد كاشفا عن وثاقته واعتباره" وقال: "**هذا غريب جدا... **ولو صحت هذه الدعوى لم تبق رواية ضعيفة في كتب الثقات من المحدثين، سواء في ذلك الكتب الأربعة وغيرها، فإن صاحب الكتاب المفروض وثاقته إذا روى عن شيخه يحكم بوثاقة شيخه، وهو يروي عن شخص آخر فيحكم بوثاقته أيضا. وهكذا إلى أن ينتهي إلى المعصومين عليهم السلام** .وكيف تصح هذه الدعوى؟ وقد عرفت أن صفوان، وابن أبي عمير والبزنطي وأضرابهم قد رووا عن الضعفاء، فما ظنك بغيرهم؟.هذا، مع أن الرواية عن أحد لا تدل على اعتماد الراوي على المروي عنه".

1. **الوقوع في سند محكوم بالصحة**

و"من جملة ذلك: وقوع شخص في سند رواية قد حكم أحد الاعلام من المتقدمين أو المتأخرين بصحتها، ومن هنا يحكم باعتبار كل من روى عنه محمد ابن أحمد بن يحيى، ولم يستثن من رواياته... أقول: إن اعتماد ابن

الوليد أو غيره من الاعلام المتقدمين فضلا عن المتأخرين على رواية شخص والحكم بصحتها **لا يكشف عن وثاقة الراوي أو حسنه**، وذلك **لاحتمال أن الحاكم بالصحة يعتمد على أصالة العدالة**، ويرى حجية كل رواية يرويها مؤمن لم يظهر منه فسق، وهذا لا يفيد من يعتبر وثاقة الراوي أو حسنه في حجية خبره.

1. **وكالة الامام**

"ومن ذلك أيضا: **الوكالة من الإمام (ع) فقيل أنه ملازمة للعدالة التي هي فوق الوثاقة.**أقول: الوكالة لا تستلزم العدالة، **ويجوز توكيل الفاسق إجماعا وبلا إشكال.** غاية الامر أن العقلاء لا يوكلون في الأمور المالية خارجا من لا يوثق بأمانته، وأين **هذا من اعتبار العدالة في الوكيل**؟... هذا، وقد أفرط بعضهم فجعل كون الرجل بوابا للمعصوم (ع) دليلا على اعتباره، مع أنه لا دلالة فيه على الاعتبار بوجه من الوجوه.

1. **شيخوخة الإجازة**

فقد **اشتهر أن مشايخ الإجازة مستغنون عن التوثيق**.

والجواب عن ذلك: أن مشايخ الإجازة على تقدير تسليم وثاقتهم لا يزيدون في الجلالة وعظمة الرتبة عن أصحاب الاجماع وأمثالهم، ممن عرفوا بصدق الحديث والوثاقة، فكيف يتعرض في كتب الرجال والفقه لوثاقتهم ولا يتعرض لوثاقة مشايخ الإجازة لوضوحها وعدم الحاجة إلى التعرض لها.**والصحيح: أن شيخوخة الإجازة لا تكشف عن وثاقة الشيخ كما لا تكشف عن حسنه...**".

7- **مصاحبة المعصوم**

وقد جعل بعضهم: **توصيف أحد بمصاحبته لاحد المعصومين (ع) من إمارات الوثاقة.**وأنت خبير بأن المصاحبة لا تدل بوجه لا على الوثاقة، ولا على

الحسن، كيف وقد صاحب النبي (ص) وسائر المعصومين (ع) من لا حاجة إلى بيان حالهم وفساد سيرتهم، وسوء أفعالهم؟!.".

1. **تأليف كتاب أو أصل**

" فقد **قيل إن كون شخص ذا كتاب أو أصل إمارة على حسنه ومن أسباب مدحه.**

والجواب عنه ظاهر: إذ رب مؤلف كذاب وضاع. وقد ذكر النجاشي والشيخ جماعة منهم".

9- **ترحم أحد الاعلام**

"واستدل على حسن من ترحم عليه أحد الاعلام - كالشيخ الصدوق ومحمد ابن يعقوب وأضرابهما - بأن **في الترحم عناية خاصة بالمترحم عليه، فيكشف ذلك عن حسنه لا محالة.**والجواب عنه: أن الترحم هو طلب الرحمة من الله تعالى، فهو دعاء مطلوب ومستحب في حق كل مؤمن، وقد أمرنا بطلب المغفرة لجميع المؤمنين وللوالدين بخصوصهما ".

10- **كثرة الرواية عن المعصوم**

و"استدل على اعتبار الشخص بكثرة روايته عن المعصوم (ع) - بواسطة أو بلا واسطة - بثلاث روايات:... "**إعرفوا منازل الرجال منا على قدر رواياتهم عنا**"... "**إعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنا، فإنا لا نعد الفقيه منهم فقيها حتى يكون محدثا، فقيل له: أو يكون المؤمن محدثا؟ قال: يكون مفهما. والمفهم المحدث**".. .. "**إعرفوا منازل الناس منا على قدر رواياتهم عنا".** والجواب عنها: أن هذه الروايات - بأجمعها – ضعيفة...على **أنه لو أغمضنا عن ضعف السند فالدلالة فيها أيضا قاصرة،** وذلك فإن المراد بجملة: (قدر رواياتهم عنا) ليس هو قدر ما يخبر الراوي عنهم (ع)، وإن كان لا يعرف صدقه وكذبه، فإن ذلك لا يكون مدحا في الراوي، فربما تكون روايات الكاذب أكثر من روايات الصادق، بل المراد بها هو قدر ما تحمله

الشخص من رواياتهم (ع)، وهذا لا يمكن إحرازه الا بعد ثبوت حجية قول الراوي، وأن ما يرويه قد صدر عن المعصوم (ع).

ب3

ملاحظات على منهج الخوئي السندي

وبالرغم من هذا المنهج السندي المهم الذي اتبعه الخوئي في النظر الى الرجال، وبالتالي الى رواياتهم عن الأئمة، فانه وقع فيما حذر منه، وذلك لأنه أجاز لنفسه تقليد مشايخ الطائفة الاثني عشرية في توثيق بعض الرجال، بل وقام بتوثيق بعض الرجال الذي ضعفهم مشايخ الطائفة، ولم يستطع معرفة حقيقة بعض الرجال المشهورين بالغلو ومن أصحاب الفرق الضالة المنحرفة، الملعونين على لسان الأئمة، بسبب وجود بعض الأحاديث المادحة لهم، كالمفضل بن عمر زعيم فرقة "المفوضة" وسوف نتحدث عن هذا وغيره في الفصول القادمة، ولكنا نتوقف الآن عند أهم ملاحظة على منهج الخوئي السندي، مناقضة لمبادئه السابقة التي عبر فيها عن نقده للأخباريين، وهي التقليد لمشايخ الطائفة، في حين كان ينبغي عليه أن يواصل عمله الاجتهادي دون تقليد أحد.

1. **توثيق مشايخ الطائفة الامامية والاثني عشرية**

فقد قال الخوئي: "إن مما تثبت به الوثاقة أو الحسن أن ينص على ذلك أحد الأعلام، كالبرقي، وابن قولويه، والكشي، والصدوق، والمفيد، والنجاشي، والشيخ (الطوسي) وأضرابهم. وهذا أيضا لا إشكال فيه". ورغم أن توثيق المشايخ لكثير من الرواة السابقين يعتمد على الحدس والخبر الواحد، فضلا عن الانحياز الطائفي، الا ان الخوئي أخذ به. ووثق بناء على ذلك النوفلي، وموسى بن عمر بن يزيد، لأنهما وقعا في اسناد (كامل الزيارات) لابن قولويه. وقد تراجع الخوئي بعد ذلك عن توثيق جميع من يقع في اسناد كامل الزيارات.

وقال: إن "مما تثبت به الوثاقة أو الحسن أن ينص على ذلك أحد الاعلام المتأخرين، بشرط أن يكون من أخبر عن وثاقته معاصرا للمخبر أو قريب العصر منه، كما يتفق ذلك في توثيقات الشيخ منتجب الدين (ت 585) أو ابن شهرآشوب (ت 588) وأما في غير ذلك كما في **توثيقات ابن طاووس والعلامة وابن داود ومن تأخر عنهم كالمجلسي لمن كان بعيدا عن عصرهم فلا عبرة بها، فإنها مبنية على الحدس والاجتهاد جزما.** وذلك: فإن السلسلة قد انقطعت بعد الشيخ (الطوسي)، فأصبح عامة الناس إلا قليلا منهم مقلدين يعملون بفتاوى الشيخ ويستدلون بها كما يستدل بالرواية على ما صرح به الحلي في السرائر وغيره في غيره... وعلى الجملة: فالشيخ (قدس سره) هو حلقة الاتصال بين المتأخرين وأرباب الأصول التي أخذ منها الكتب الأربعة وغيرها. **ولا طريق للمتأخرين إلى توثيقات رواتها وتضعيفهم غالبا إلا الاستنباط، وإعمال الرأي والنظر.** ومما يؤكد ما ذكرناه من انقطاع السلسلة أن كتاب الكشي الذي هو أحد الأصول الرجالية - وقد حكى عنه النجاشي في رجاله - لم يصل إلى المتأخرين، فلم ينقلوا عنه شيئا، وإنما وصل إليهم (اختيار الكشي) الذي رتبه الشيخ (الطوسي) واختاره من كتاب الكشي...

وقد تحصل مما ذكرناه أن ابن طاووس والعلامة وابن داود ومن تأخر عنهم إنما يعتمدون في توثيقاتهم وترجيحاتهم على آرائهم واستنباطاتهم أو على ما استفادوه من كلام النجاشي أو الشيخ في كتبهم، وقليلا ما يعتمدون على كلام غيرهما، وقد يخطئون في الاستفادة كما سنشير إلى بعض ذلك في موارده، كما قد يخطئون في الاستنباط ... وعليه فلا يعتد بتوثيقاتهم بوجه من الوجوه".

واذا كان حال المتأخرين هكذا؟ فكيف ولماذا ينبغي أن نثق في توثيقات المتقدمين وترجيحاتهم؟ ولا فرق بين هؤلاء وأولئك الا في الرتبة الزمنية.

1. **قبول دعوى الاجماع من الأقدمين على وثاقة أحد**

وقد قلد الخوئي المتقدمين، أيضا في قبول (دعوى الاجماع) منهم، وقال: ان "من جملة ما تثبت به الوثاقة أو الحسن هو أن **يدعي أحد من الأقدمين الأخيار الاجماع على وثاقة أحد،** فإن ذلك وإن كان إجماعا منقولا، إلا أنه لا يقصر عن توثيق مدعي الاجماع نفسه منضما إلى دعوى توثيقات أشخاص آخرين، بل إن دعوى الاجماع على الوثاقة يعتمد عليه حتى إذا كانت الدعوى من المتأخرين، كما اتفق ذلك في إبراهيم بن هاشم، فقد ادعى ابن طاووس الاتفاق على وثاقته، فان هذه الدعوى تكشف عن توثيق بعض القدماء لا محالة، وهو يكفي في إثبات الوثاقة".

وبناء على توسيع الخوئي لدائرة التوثيق تقليدا للأعلام الأقدمين، قال: "لذا نحكم بوثاقة جميع مشايخ علي بن إبراهيم الذين روى عنهم في تفسيره مع انتهاء السند إلى أحد المعصومين (ع). فقد قال في مقدمة تفسيره: "ونحن ذاكرون ومخبرون بما ينتهي إلينا، ورواه مشايخنا وثقاتنا عن الذين فرض الله طاعتهم.." فإن في هذا الكلام دلالة ظاهرة على أنه لا يروي في كتابه هذا إلا عن ثقة، بل استفاد صاحب (الوسائل) في الفائدة السادسة في كتابه في ذكر شهادة جمع كثير من علماءنا بصحة الكتب المذكورة وأمثالها وتواترها وثبوتها عن مؤلفيها وثبوت أحاديثها عن أهل بيت العصمة (ع) أن كل من وقع في إسناد روايات تفسير علي بن إبراهيم المنتهية إلى المعصومين (ع) قد شهد علي بن إبراهيم بوثاقته، حيث قال: "وشهد علي بن إبراهيم أيضا بثبوت أحاديث تفسيره وأنها مروية عن الثقات عن الأئمة (ع) أقول: ان ما استفاده (قدس سره) في محله، فإن علي بن إبراهيم يريد بما ذكره إثبات صحة تفسيره، وأن رواياته ثابتة وصادرة من المعصومين (ع) وإنها إنتهت إليه بوساطة المشايخ والثقات من الشيعة. وعلى ذلك فلا موجب لتخصيص التوثيق بمشايخه الذين يروي عنهم علي بن إبراهيم بلا واسطة كما زعمه بعضهم.

وبما ذكرناه نحكم بوثاقة جميع مشايخه الذين وقعوا في إسناد (كامل الزيارات) أيضا، فإن جعفر بن قولويه قال في أول كتابه: "وقد علمنا بأنا لا نحيط بجميع ما روي عنهم في هذا المعنى ولا في غيره، لكن ما وقع لنا من جهة الثقات من أصحابنا رحمهم الله برحمته، ولا أخرجت فيه حديثا روي عن الشذاذ من الرجال يؤثر ذلك عنهم عن المذكورين غير المعروفين بالرواية المشهورين بالحديث والعلم". فإنك ترى أن هذه العبارة واضحة الدلالة على أنه لا يروي في كتابه رواية عن المعصوم إلا وقد وصلت إليه من جهة الثقات من أصحابنا رحمهم الله. قال صاحب (الوسائل) بعد ما ذكر شهادة علي بن إبراهيم بأن روايات تفسيره ثابتة ومروية عن الثقات من الأئمة (ع): "وكذلك جعفر بن محمد بن قولويه، فإنه صرح بما هو أبلغ من ذلك في أول (مزاره)". أقول: إن ما ذكره متين، فيحكم بوثاقة من شهد علي بن إبراهيم أو جعفر بن محمد بن قولويه بوثاقته، اللهم إلا أن يبتلي بمعارض.

وممن شهد بوثاقة جماعة - على نحو الاجمال - النجاشي، فإنه يظهر منه توثيق جميع مشايخه. قال - قدس سره - في ترجمة أحمد بن محمد بن عبيد الله بن الحسن الجوهري: "رأيت هذا الشيخ وكان صديقا لي ولوالدي وسمعت منه شيئا كثيرا، ورأيت شيوخنا يضعفونه فلم أرو عنه شيئا، وتجنبته..". وقال في ترجمة محمد بن عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن البهلول: "وكان في أول أمره ثبتا ثم خلط، ورأيت جل أصحابنا يغمزونه ويضعفونه.. رأيت هذا الشيخ، وسمعت منه كثيرا، ثم توقفت عن الرواية عنه إلا بواسطة بيني وبينه".ولا شك في ظهور ذلك في أنه لا يروي عن ضعيف بلا واسطة فيحكم بوثاقة جميع مشايخه".

ولم يتوقف الخوئي لكي ينظر الى مشايخ الطائفة الاثني عشرية، نظرة موضوعية محايدة، كما ينظر الى أصحاب الفرق الشيعية والإسلامية الأخرى، الذين يرفض الخوئي توثيقهم أو تزكيتهم اذا لم يتهمهم بالكفر والضلال، وانما نظر اليهم نظرة إيجابية لأنه ولد في داخل طائفتهم، وقلد الناقلين عنهم والمبجلين لهم، كما نظر الى الأئمة (المعصومين) من قبل، نظرة من داخل الصندوق، ملؤها التقديس والتعظيم، ولم ينظر اليهم من الخارج بموضوعية وحيادية، ولم يشك فيهم وفي (عصمتهم) مقدار أنملة.

وبعد تقليد الخوئي لمشايخ الطائفة الامامية في الاعتقاد بعصمة وحجية (الأئمة) وقع الخوئي في خطأ أخر تمثل في تقليده لمشايخ الطائفة الأعلام كالبرقي، وابن قولويه، والكليني، والنعماني، والكشي، والصدوق، والمفيد، والنجاشي، والشيخ (الطوسي) وأضرابهم في توثيق الرواة الناقلين عن الأئمة. وقال: "هذا أيضا لا إشكال فيه". رغم وجود اشكال كبير فيه، لوجود الاحتمال بكونهم غلاة أو كذابين يختلقون الأحاديث، كما اختلقوا الاحاديث حول النظرية (الاثني عشرية) في القرن الرابع الهجري، وكما اختلق بعض (أصحاب الاجماع) النظريات الامامية المختلفة كالاسماعيلية والناووسية والفطحية، وكان ينبغي على الخوئي أن ينظر اليهم نظرة محايدة، ولا يقلدهم ولا يسلم لهم في عمليات الجرح والتعديل. ولا سيما انهم أجمعوا على توثيق رجال كانوا محل جدل ونقاش وتهمة وشبهة، كأدعياء النيابة الخاصة والسفارة عن (الامام المهدي) الذي لم يوجد دليل تاريخي على وجوده.

1. **قبول توثيق الأعلام المتأخرين لأحد**

ولم يكتف الخوئي بتقليد مشايخ الطائفة الاثني عشرية في توثيقهم لبعض الرجال، وانما تنزل أكثر في قبول توثيق أحد الأعلام المتأخرين كالشيخ منتجب الدين، أو ابن شهرآشوب ، رغم كونهم مقلدين لغيرهم من السابقين.

وبناء على توسيع الخوئي لدائرة التوثيق تقليدا للأعلام الأقدمين، حكم بوثاقة جميع مشايخ علي بن إبراهيم الذين روى عنهم في تفسيره مع انتهاء السند إلى أحد المعصومين (ع). وحكم أيضا بوثاقة جميع مشايخ جعفر ابن قولويه الذين وقعوا في إسناد (كامل الزيارات) رغم وجود مفاهيم مغالية ومتطرفة في كثير من الزيارات. كما وثق الخوئي الجماعة الذين شهد بوثاقتهم النجاشي على نحو الاجمال ، كجميع مشايخه "لأنه لا يروي عن ضعيف بلا واسطة فيحكم بوثاقة جميع مشايخه".

وقد فتح الخوئي بذلك أبوابا واسعة على الأقوال المنحرفة المكذوبة، التي ملأت تفسير القمي، وغيره من كتب الأدعية والزيارات، وسمحت بتسرب بعض الأفكار المغالية المنحرفة الى عقيدة الخوئي نفسه، مثل نظرية الامامة الإلهية والولاية التكوينية ووجود الامام الثاني عشر الغائب (محمد بن الحسن العسكري) وغيرها من الأفكار والنظريات.

ف3

كيف أثبت الخوئي وجود سليم بن قيس الهلالي، ولماذا وثقه، وقال بصحة كتابه؟

من المعروف ان شخصية (سليم بن قيس الهلالي) شخصية جدلية، وقد شكك أحد علماء الرجال الشيعة في القرن الخامس الهجري وهو (الحسين بن الغضائري) بوجوده، فضلا عن صحة الكتاب المنسوب اليه، وكذلك شكك الشيخ المفيد بما ورد في الكتاب، وحذر منه. وقد ظهر هذا الكتاب في القرن الرابع الهجري، فروى عنه الكليني والنعماني والصدوق ما انفرد به من حديث عن (الاثني عشرية) وهي النظرية التي قال بها فريق من الامامية، وفريق من شيعة الامام الحسن العسكري، في ما يسمى بـ (عصر الحيرة) التي عصفت بالشيعة، نتيجة وفاة العسكري عام 260 دون خلف، وتفرقهم الى أربع عشرة فرقة، فجاء الكتاب ليدعم مقولة الفرقة الاثني عشرية، ويؤكد على وجود ولد في السر للعسكري، هو (الامام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري) الذي أصبح فيما بعد (الامام المهدي الغائب المنتظر).

ورغم الشكوك التي كانت تحيط بالمؤلف والكتاب، والطرق الواصلة اليه، فان مشايخ الطائفة الاثني عشرية، أعرضوا عن كل تلك الشكوك، ووثقوا المؤلف والكتاب، واعتمدوا عليه كثيرا.

وكان يجدر بأي باحث محايد يحاول التأكد من وجود (الهلالي) فضلا عن معرفة صحة ما نسب اليه في الكتاب، أن يدرس نظرية الامامة الإلهية التي ظهرت في القرن الثاني الهجري، بصورة شاملة ودقيقة، ويتأكد من وجود أحاديث (الاثني عشرية) ما قبل (الحيرة) ولا يعتمد في الاعتقاد بوجود المؤلف وصحة الكتاب المنسوب اليه، على ما ادعاه مشايخ الطائفة الجديدة التي ظهرت في القرن الرابع الهجري، والذين كانوا في موضع شبهة على الأقل. ولكن الخوئي فضل التقليد لمشايخ الطائفة الذين وصفهم بالأعلام كالبرقي، وسعد بن عبد الله الاشعري القمي، وأحمد بن إسحاق، وابن قولويه، والكليني، والنعماني، والكشي، والصدوق، والمفيد، والنجاشي، والطوسي، وأضرابهم في

توثيق الرواة الناقلين عن الأئمة، عموما وبالخصوص حول شخصية الهلالي وكتابه.

واعتمادا على هذا المنهج التقليدي قام الخوئي بالتأكيد على وجود الهلالي، وتوثيقه، والاعتراف بصحة كتابه، والايمان بما جاء فيه.

وقد بحث الخوئي في (معجم رجال الحديث) شخصية (سليم بن قيس) برقم: 5401 - ، ونقل أقوال علماء الرجال (من الامامية الاثني عشرية) كما يلي:

قال النجاشي في زمرة من ذكره من سلفنا الصالح في الطبقة الأولى: "سليم بن قيس الهلالي له كتاب". وعده الشيخ (الطوسي) في (رجاله) في أصحاب أمير المؤمنين (ع)، وفي أصحاب الحسن (ع)، وفي أصحاب الحسين (ع)، وفي أصحاب السجاد (ع) قائلا: سليم بن قيس الهلالي ثم العامري الكوفي صاحب أمير المؤمنين (ع) وعده من أصحاب الباقر (ع).

وعده البرقي من الأولياء من أصحاب أمير المؤمنين (ع) وفي أصحاب أبي محمد الحسن بن علي (ع) وأبي عبد الله الحسين بن علي من أصحاب أمير المؤمنين (ع)، وكناه في الأخير بأبي صادق، وعده في أصحاب السجاد من أصحاب أمير المؤمنين (ع) مقتصرا على كنيته، وقال عند عده في أصحاب الباقر (ع) من أصحاب أمير المؤمنين (ع).

وقال الكشي: "حدثني محمد بن الحسن البراثي، قال: حدثنا الحسن بن علي بن كيسان، عن إسحاق بن إبراهيم بن عمر اليماني، عن ابن أذينة، عن أبان بن أبي عياش، قال: هذا نسخة كتاب سليم بن قيس العامري ثم الهلالي دفعه إلي أبان بن أبي عياش وقرأه، وزعم أبان أنه قرأه على علي بن الحسين (ع) فقال: صدق سليم رحمة الله عليه هذا حديث نعرفه".

ثم نقل الخوئي قول العالم الرجالي الحسين ابن الغضائري المشكك بصحة كتاب سليم ووجوده: "... كان أصحابنا يقولون إن سليما لا يعرف ولا ذكر في خبر، وقد وجدت ذكره في مواضع من غير جهة كتابه ولا من رواية أبان بن أبي عياش، وقد ذكر ابن عقدة في رجال أمير المؤمنين (ع) أحاديث عنه ... وأسانيد هذا الكتاب تختلف تارة برواية عمر بن أذينة، عن إبراهيم بن عمر الصنعاني، عن

أبان بن أبي عياش عن سليم، و(تارة) يروي عن عمر، عن أبان بلا واسطة". فناقشها الخوئي واستنتج من كل ذلك أن شخصية سليم بن قيس الهلالي حقيقية وتاريخية، وأنه " في نفسه، ثقة جليل القدر عظيم الشأن، ويكفي في ذلك شهادة البرقي بأنه من الأولياء من أصحاب أمير المؤمنين (ع) المؤيدة بما ذكره النعماني في شأن كتابه، وقد أورده العلامة في القسم الأول وحكم بعدالته".

وبعد أن حكم الخوئي بصحة وجود المؤلف في التاريخ والكتاب، قام بمناقشة الإشكالات التي اخذها بعض النقاد كابن الغضائري، على الكتاب، كاشتماله على قصة وعظ محمد بن أبي بكر أباه عند موته مع أن عمر محمد وقتئذ كان أقل من ثلاث سنين، واشتماله على أن الأئمة ثلاثة عشر. فرد الخوئي هذا الاشكال بالتشكيك بصحة نسبة كتاب ابن الغضائري اليه، وعدم ثبوت قصة وعظ محمد بن أبي بكر أباه، مستعينا بما قال الميرزا (محمد علي الاسترابادي (- 1028هـ)) في (رجاله الكبير: منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال): "ان ما وصل إلي من نسخة هذا الكتاب، المذكور فيه أن عبد الله بن عمر وعظ أباه عند الموت وأن الأئمة ثلاثة عشر مع النبي (ص) وشئ من ذلك لا يقتضى الوضع.

وأضاف الخوئي: "وأما وعظ محمد بن أبي بكر أباه عند موته، فلو صح فهو وإن لم يمكن عادة إلا أنه يمكن أن يكون على نحو الكرامة وخرق العادة. وعلى ذلك فلا وجه لدعوى وضع كتاب سليم بن قيس أصلا". هذا أولا، وثانيا: "إن اشتمال كتاب على أمر باطل في مورد أو موردين لا يدل على وضعه، كيف ويوجد ذلك في أكثر الكتب حتى كتاب (الكافي) الذي هو أمتن كتب الحديث وأتقنها".

واعتمد الخوئي على ما ورد عن النعماني والكليني، من أحاديث منسوبة الى الهلالي، وتصرح بالرقم (اثني عشر) لكي ينفي تضمن كتاب الهلالي للرقم (ثلاث عشر) فقال: "وبما ذكرناه يظهر أن ما نسبه ابن الغضائري إلى كتاب سليم بن قيس من رواية أن الأئمة ثلاثة عشر لا صحة له، غاية الأمر أن النسخة التي وصلت إليه كانت مشتملة على ذلك، وقد شهد الشيخ المفيد أن في النسخة تخليطا وتدليسا، وبذلك يظهر الحال فيما ذكره النجاشي في ترجمة هبة الله بن أحمد بن محمد من أنه عمل كتابا لأبي الحسين العلوي الزيدي، وذكر أن الأئمة

ثلاثة عشر مع زيد بن علي ابن الحسين عليهم السلام واحتج بحديث في كتاب سليم بن قيس الهلالي: أن الأئمة اثنا عشر من ولد أمير المؤمنين (ع)".

ولست ادري كيف اعتمد الخوئي على كتاب سليم الذي وصفه الشيخ المفيد بالتخليط والتدليس، وحذر من الأخذ بما فيه، ورفض شهادة النجاشي وابن الغضائري، بوجود حديث (الثلاثة عشر) ولم يحتمل وضع مشايخ الطائفة كالكليني والنعماني وغيرهما (حديث الاثني عشر)؟ ولماذا صدق الخوئي علماء الرجال المتأخرين بصحة وسلامة النسخ التي وصلت اليهم بعد أكثر من الف عام؟ علما بأن المجلسي قد صنف بابا خاصا في (بحار الأنوار): (في الأحاديث المنسوبة الى سليم ولا توجد في كتابه) مما يدل على الوضع المستمر في كشكول (كتاب سليم الهلالي).

ثم انتقل الخوئي الى بحث الاشكال في سند الكتاب، والمتمثل في ضعف الراوي الوحيد له (أبان بن أبي عياش) المتوفى حدود 140 هـ ، وعدم رواية أي أحد غيره عن سليم الهلالي، وكذلك ضعف الراوي عن أبان (إبراهيم بن عمر الصنعاني) والراوي عن الأخير، مما يشكك بوجوده، ويقوي احتمال اختلاقه من قبل أبان، أو إضافة الرواة الآخرين الى الكتاب أمورا أخرى، فاعترف الخوئي بضعف أبان. ولكنه رفض تضعيف ابن الغضائري لإبراهيم بن عمر، اعتمادا على توثيق النجاشي له، ومع ذلك استدرك قائلا: "هذا، والصحيح أنه لا طريق لنا إلى كتاب سليم بن قيس المروي بطريق حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر، عنه، وذلك فإن في الطريق محمد بن علي الصيرفي أبا سمينة وهو ضعيف كذاب... وكيفما كان فطريق الشيخ إلى كتاب سليم بن قيس بكلا سنديه ضعيف، ولا أقل من جهة محمد بن علي الصيرفي (أبي سمينة)".

ولو كان الخوئي قد بحث الموضوع بصورة علمية شاملة ، كما بحثها الدكتور الايراني عبد المهدي الجلالي، لربما كان قد غير رأيه واطلع على حقيقة الشخص المذكور.

الجلالي ينسف أسطورة سليم بن قيس الهلالي

فقد قام الجلالي بمراجعة أكثر من ألف مصدر ومرجع في علم الرجال، والحديث، والسيرة، والتراجم، والوفيات، والتاريخ، وبالأخص مرحلة ما بين السنة الرابعة عشرة للهجرة، والتي توافق وجود سليم بن قيس الهلالي في المدينة المنورة وسنة ستة وسبعين للهجرة، والتي هي ـ حسب قول أبان بن أبي عياش ـ سنة وفاة سليم بمنطقة «نوبندجان» الفارسية .

وقام في القسم الأول من بحثه بتقديم صورة تاريخية عن سليم، كما يصور نفسه هو في كتابه، وهي صورة شخصية سليم الإنسان الفعّال والدينامكي الذي له حضور فعّال في الكثير من المواقع، يحبّ المعرفة، وملحاح في طلب حقيقة الأشياء، علاقته "ببعض المواضيع" جدّ حساسة ومتميزة. له ارتباطات ولقاءات بعدة شخصيات ذات مواقع ومكانة خاصة، سمع منهم، ثم روى عنهم. وأعظم علاقاته ـ والتي كان لها رونقها الخاص ـ كانت مع الإمام علي . فقد حضر إلى جانبه في مواضع وأماكن مختلفة، وفي زمن خلافة عثمان كان يحضر مجالس العلم التي كان يعقدها الإمام علي في مسجد النبي وسط جماعة من أصحابه، فكان يسمع منه، وكان يحفظ عنه كلّ ما سمعه عن ظهر قلب، ليقيده بالكتابة بشكل تامّ . لقد كان حاضراً إلى جانب الإمام علي في مواقع مهمة جدّاً، **و**كان يطلع على كل ما يصل الإمام من أخبار، أو يرسله الإمام من رسائل. حضر مع الإمام× حرب الجمل، كما حضر بعد ذلك "صفين". كان سليم لا يفارق منبر الإمام× فقد كان يحضر جميع خطبه وأحاديثه، ونقل كل أقواله بعد حرب الجمل وصفين والنهروان، ولم يغفل عن شيء منها".

وتوقف عند أهم الكتب وهو: كتاب (**الجمل)** للشيخ المفيد الذي ذكر فيه العديد من أصحاب الإمام علي، لكنّه لم يذكر سليم بن قيس. وكذلك كتاب (**وقعة صفين)** لنصر بن مزاحم الذي لم يذكره مطلقا ولم يشر اليه.

واستنتج الجلالي من كل ذلك: أن لا خبر ولا تقرير من شأنه أن يثبت تواجد سليم الفعلي وحضوره التاريخي، وأن اسم سليم اسم بدون مسمّى، اسم موهوم وموضوع، فلم يوجد في تاريخ الإسلام شخصٌ بهذا الاسم. والاحتمال القوي أن أفراداً أو فرداً عمد إلى صنع هذه الشخصية، ومن ثم نسب إليها ذلك الكتاب، وجعلوه ناطقاً باسمه.

ب3 هل كان الخوئي مجتهدا في علم الرجال؟

ف 4 – من هو المعلى بن خنيس؟ ولماذا وثقه الخوئي رغم تضعيف النجاشي وابن الغضائري له؟. ق1

المعلى بن خنيس راو كوفي ، من أهم أركان نظرية الامامة الإلهية، وربما كان متطرفا ومغاليا فيها، ولقد اختلف علماء الرجال فيه، فروى الكشي في القرن الرابع روايات بمدحه وذمه، ومال النجاشي وابن الغضائري في القرن الخامس الى ذمه، بينما مال الطوسي الى مدحه.

وقد نقل الخوئي في ترجمته برقم 12525- مختلف الآراء حوله، وذهب الى توثيقه.

ونقل قول النجاشي فيه: "معلى بن خنيس أبو عبد الله: مولى]الصادق جعفر بن محمد(ع)، و من قبله كان **مولى بني أسد، كوفي، بزاز، ضعيف جدا، لا يعول عليه، له كتاب يرويه جماعة".**

و قال ابن الغضائري: " كان أول أمره مغيريا، **ثم دعا إلى محمد بن عبد الله، و في هذه الظنة أخذه داود بن علي، فقتله، و الغلاة يضيفون إليه كثيرا، و لا أرى الاعتماد على شيء من حديثه".**

و عده الشيخ (الطوسي) (732): في السفراء الممدوحين **"في (رجاله) من أصحاب الصادق (ع)، قائلا: «معلى بن خنيس المدني، مولى أبي عبد الله (ع)». وانه كان من قوام أبي عبد الله(ع) و إنما قتله داود بن علي بسببه، و كان محمودا عنده، و مضى على منهاجه و أمره مشهور".**

ثم نقل الخوئي عن الكشي روايات، بعضها مادحة وأخرى ذامة، وكانت المادحة التي وصفها بالصحة، تدور حول استنكار الامام الصادق قتل الوالي العباسي داود بن علي، على المدينة، للمعلى، في بداية قيام الدولة العباسية عام 131، وترحم الامام عليه، وتأكيده مع القسم بدخول المعلى الجنة.

ومن بين الروايات التي يصححها الخوئي وينقلها عن الكشي عن أبي بصير أن الامام الصادق تنبأ بمقتل داود بن علي للمعلى، قبل عام من الحادثة، وهي كما يلي: ، **قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول- و جرى ذكر المعلى بن خنيس- فقال: يا أبا محمد اكتم علي ما أقول لك في المعلى، قلت: أفعل، فقال: أما إنه ما كان ينال درجتنا إلا بما ينال منه داود بن علي. قلت: و ما الذي يصيبه من داود؟ قال: يدعو به فيأمر به فيضرب عنقه و يصلبه.** قلت: إنا لله و إنا إليه راجعون. قال: ذاك قابل. قال: فلما كان قابل، ولي المدينة فقصد المعلى فدعاه، و سأله عن شيعة أبي عبد الله(ع)، و

أن يكتبهم له، فقال: ما أعرف من أصحاب أبي عبد الله(ع) أحدا، و إنما أنا رجل أختلف في حوائجه، و لا أعرف له صاحبا. قال: أ تكتمني، أما إنك إن كتمتني قتلتك. فقال له المعلى: بالقتل تهددني، و الله لو كانوا تحت قدمي ما رفعت قدمي عنهم، و إن أنت قتلتني لتسعدني و أشقيك، فكان كما قال أبو عبد الله (ع) لم يغادر منه قليلا و لا كثيرا.

وهذه الرواية تتضمن دعوى علم الامام الصادق بالغيب، واخباره بما سيحدث بالتفصيل للمعلى بعد عام، ولكن الخوئي يصححها ويقول: **"هذه الروايات كلها صحاح"** رغم وجود محمد بن علي الصيرفي (الكذاب المشهور) في سندها.

و أما الروايات الذامة فهي تدور حول إذاعة المعلى السر، ومخالفة الامام، وان الخوئي يرفضها **ويضعفها، من حيث السند، ولا يجد فيها مادة لذم المعلى غير ذلك.**

ثم تناول الخوئي الرواية الأهم و(الصحيحة) التي يسوقها الكشي في ذم المعلى، وهي قوله لعبد الله بن أبي يعفور: "الأوصياء أنبياء" في مقابل قول عبد الله: أن **"الأوصياء علماء، أبرار، أتقياء" وقول الامام الصادق لهما بعد دخولهما عليه: "** يا عبد الله أبرأ ممن قال إنا أنبياء".

فقال الخوئي: هذه الرواية صحيحة، إلا أنها لا تدل إلا على خطأ معلى بن خنيس باعتقاده أولا، و لا بد و أنه رجع عن قوله ببراءة أبي عبد الله (ع) ممن قال إنهم أنبياء.

ثم قال الخوئي: " هذا **و الذي تحصل لنا مما تقدم أن الرجل جليل القدر و من خالصي شيعة أبي عبد الله (ع)، فإن الروايات في مدحه متضافرة، على أن جملة منها صحاح كما مر، و فيها التصريح بأنه كان من أهل الجنة قتله داود بن علي، و يظهر من ذلك أنه كان خيرا في نفسه، و مستحقا لدخول الجنة، و لو أن داود بن علي لم يقتله. نعم،** لا مضايقة في أن تكون له درجة لا ينالها إلا بالقتل، كما صرح به في بعض ما تقدم من الروايات، **و مقتضى ذلك أنه كان رجلا صدوقا، إذ كيف يمكن أن يكون الكذاب مستحقا للجنة،** و يكون موردا لعناية الصادق (ع) **و يؤكد ذلك شهادة الشيخ بأنه كان من السفراء الممدوحين، و أنه مضى على منهاج الصادق(ع). و مع ذلك كله لا يعتنى بتضعيف النجاشي، و إن كان هو خريت هذه الصناعة، و لعل منشأ تضعيفه (قدس الله نفسه) هو ما اشتهر من نسبة الغلو إليه، و قد نسب ذلك إليه الغلاة، و علماء العامة الذين يريدون الازدراء بأصحاب أبي عبد الله (ع)، و الله العالم. و أما ما تقدم من ابن الغضائري من تضعيفه، و من نسبة أنه كان مغيريا، ثم دعا إلى محمد بن عبد الله فلا يعتنى به، لعدم ثبوت نسبة الكتاب إليه، كما تقدم غير مرة.**

الخوئي، معجم رجال الحديث، ج 19 ص258- 269 وربما عزز الخوئي رأيه بوثاقة المعلى بن خنيس بكونه من مشايخ القمي في تفسيره، وابن قولويه في (كامل الزيارات) ورواية أصحاب

الاجماع كيونس بن عبدالرحمن، وحماد بن عثمان وعبد الله بن مسكان، عنه، وهو ما ذهب اليه الخوئي، كما رأينا في الباب الثالث من هذا الكتاب.

ولكن الخوئي لم يتطرق الى تهمة الغلو التي وجهها الى المعلى، اثنان من الرجاليين الشيعة، وهما النجاشي الذي وصفه الخوئي بأنه خريت هذه الصناعة، وابن الغضائري، الذي شكك الخوئي بنسبة الكتاب اليه. واكتفى بتوثيق الشيخ الطوسي له ووصفه بأنه من السفراء الممدوحين، وحاول التشكيك بغلوه بنسبة ذلك اليه من قبل الغلاة، ومن علماء العامة الذين يريدون الازدراء بأصحاب الامام الصادق. الا ان الخوئي لم يذكر أي قول منسوب لعلماء العامة ضده.

فهل كان المعلى بن خنيس مغاليا مذموما كما قال النجاشي وابن الغضائري؟ أم معتدلا موثوقا كما يقول الخوئي؟ سنرى الجواب عن ذلك في القسم الثاني من هذا الفصل ، من خلال قراءة أفكار المعلى وأحاديثه المختلفة والمستفيضة.

الخوئي إمام المذهب المرجعي. ب3 هل كان مجتهدا في علم الرجال؟

ف 13 – من هو المعلى بن خنيس؟ ولماذا وثقه الخوئي رغم تضعيف النجاشي وابن الغضائري له؟. ق2

لا نعرف بالضبط متى انتقل المعلى بن خنيس من الكوفة الى المدينة، ليعقد ولاءه مع الامام جعفر الصادق، ويتخلى عن ولائه السابق لبني أسد في الكوفة، ولكن يمكننا تقدير الفترة التي عاش فيها في المدينة في السنوات الخمس أو الست ما بين بيعة العلويين لمحمد بن عبد الله ذي النفس الزكية في الأبواء عام 125 ومقتله عام 131 (أو 132) وهي الفترة التي اشتد فيها التنافس بين الخط الزيدي والامامي الجعفري. وقد برز المعلى خلالها منافحا عن الخط الامامي، وليس كما قال ابن الغضائري بأنه " كان يدعو **إلى محمد بن عبد الله، و في هذه الظنة أخذه داود بن علي، فقتله".**

وقد روى المعلى عدة روايات عن الامام الصادق تتضمن معنى الامامة، منها ما رواه العياشي في (تفسيره) عن المعلى بن خنيس، عن أبي عبد الله في قول الله تعالى "وعلمت وبالنجم هم يهتدون" قال (ع): النجم رسول الله (ص)،

والعلامات الأوصياء بهم يهتدون. ومنها ما رواه إبراهيم بن محمد الثقفي في كتاب (الغارات): عن المعلى بن خنيس قال: كنت مع أبي عبد الله (ع) في الحيرة، فقال: افرشوا لي في الصحراء، ففعل ذلك، ثم قال: يا معلى. قلت: لبيك. قال: ما ترى النجوم ما أحسنها؟! إنها أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت جاء أهل السماء ما يوعدون، ونحن أمان لأهل الأرض، فإذا ذهبنا جاء أهل الأرض ما يوعدون".

وما رواه في (المحاسن) عن المعلى بن خنيس: قال: سألت أبا عبد الله هل كان الناس إلا وفيهم من قد أمروا بطاعته منذ كان نوح؟ قال: لم يزل كذلك، ولكن أكثرهم لا يؤمنون".

و ما رواه العياشي في (تفسيره): عن المعلى بن خنيس، عن أبي عبد الله (ع) في قوله: "وكونوا مع الصدقين". التوبة ١١٩ " بطاعتهم " و عن المعلى بن خنيس، عن أبي عبد الله في قوله الله عز وجل: "فسلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" قال: هم آل محمد، فعلى الناس أن يسألوهم، وليس عليهم أن يجيبوا، ذلك إليهم إن شاؤوا أجابوا وإن شاؤوا لم يجبوا ". . وفي بصائر الدرجات: عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن القسم بن سليمان، عن المعلى بن خنيس، عن أبي عبد الله (ع) في قول الله عز وجل: "ومن أضل ممن اتبع هوله بغير هدى من الله" يعني من يتخذ دينه رأيه، بغير هدي أئمة من أئمة الهدى. وغيرها من الروايات عن المعلى التي يظهر منها اعتقاده بنظرية الامامة، وأن الأرض لا تخلو من حجة، وأن الإمام يعرف الإمام الذي بعده فيوصي إليه، وأن النبي وأهل بيته أمان لأهل الأرض، وأنهم الهداة للبشر، وأدلاء على طريق الخير والأمان، تجب علينا طاعتهم وأخذ الدين منهم، وذم من اتبع هواه.

المحاججة مع الزيدية

وقد روى المعلى عن أبي عبد الله أنه قال الحديث التالي ضد بني عمه الزيدية: " ولو أنكم إذ سألوكم وأجبتموهم واحتجوكم بالأمر كان أحب إلي أن تقولوا لهم إنا لسنا كما يبلغكم، ولكنا قوم نطلب هذا العلم عمن هو أهله ومن صاحبه، وهذا السلاح عند من هو؟ وهذا الجفر عند من؟ ومن صاحبه؟ فإن يكن عندكم فإنا بايعناكم، وإن يكن عند غيركم فنطلبه حتى نعلم ".

وروى المعلى عن الامام الصادق حديثا ضد محمد بن عبد الله ذي النفس الزكية، بعدما انتخبه العلويون وبايعوه في الأبواء سنة 125 :" ما من نبي ولا وصي ولا ملك إلا في كتاب عندي، لا والله ما لمحمد بن عبد الله بن الحسن فيه اسم". وقال: كنت عند أبي عبد الله (ع) إذ أقبل محمد بن عبد الله بن الحسن فسلم، ثم ذهب ورق له أبو عبد الله ودمعت عينه، فقلت له: لقد رأيتك صنعت به ما لم تكن تصنع؟ قال: رققت له، لأنه ينسب في أمر ليس له، لم أجده في كتاب علي من خلفاء هذه الأمة ولا ملوكها ".

وكما يلاحظ في هذه الاحاديث أن المعلى يروي عن الامام الصادق علمه بالغيب، ووجود أسماء الخلفاء في كتاب من علي، وهو غير ثابت، ويحتمل أنه من تأليف المعلى نفسه، ومن ذلك أيضا ما رواه عن الصادق أنه قال: " إن الكتب كانت عند علي بن أبي طالب (ع)، فلما سار إلى العراق استودع الكتب أم سلمة، فلما قتل كانت عند الحسن، فلما هلك الحسن كانت عند الحسين، ثم كانت عند أبي، ثم تزعم يسبقونا إلى الخير، أم هم أرغب إليه منا، أم هم أسرع إليه، ولكنا ننتظر أمر الأشياخ الذين قبضوا قبلنا، أما أنا فلا أحرج أن أقول: إن الله قال في كتابه لقوم "أو آثارة من علم إن كنتم صادقين"، فمرهم فليدعوا من عنده أثرة من علم إن كانوا صادقين".

وقد نقل ابن سعد في (الطبقات الكبرى) وابن عساكر في (تاريخ دمشق) عن الفضيل بن مرزوق قال: "سألت عمر بن علي بن الحسين بن علي، (وهو أخو زيد الشهيد لأمه وأسن منه) عن جعفر بن محمد قلت: فيكم إنسان من أهل البيت مفترضة طاعته، تعرفون ذلك؟ ومن لم يعرف له ذلك مات ميتة جاهلية؟ فقال: لا والله ما فينا، من قال فينا فهو كذاب. قال: فقلت لعمر بن علي: رحمك الله إن هذه منزلة، أنهم يزعمون أن النبي (ص) أوصى إلى علي وأن عليا أوصى إلى الحسن، وأن الحسن أوصى إلى الحسين، وأن الحسين أوصى إلى ابنه علي بن الحسين، وأن عليا أوصى إلى ابنه محمد بن علي؟ قال: والله لقد مات أبي فما أوصى بحرفين. ما لهم؟ قاتلهم الله، والله إن هؤلاء إلا متاكلين بنا، هذا خنيس الحر وما خنيس الحر؟ قال: قلت: المعلى بن خنيس؟ قال: نعم، المعلى بن خنيس، والله لقد فكرت على فراشي طويلا أتعجب من قوم لبس الله عقولهم حتى أضلهم المعلى بن خنيس".

ويظهر من هذا الحوار الذي دار بين عمر بن علي بن الحسين وبين الفضيل بن مرزوق، أن المعلى بن خنيس كان يدعو الناس إلى الاعتقاد بالوصية للإمام، وأنه مفروض الطاعة.

ومما يدل على إيمان المعلى بنظرية الامامة، ما يرويه الكشي عن أبي جعفر أحمد بن إبراهيم القرشي، قال: أخبرني بعض أصحابنا، قال: كان المعلى بن خنيس (رحمه الله) إذا كان يوم العيد خرج إلى الصحراء شعثا مغبرا في زي ملهوف، فإذا صعد الخطيب المنبر مد يديه نحو السماء ثم قال: **اللهم هذا مقام خلفائك و أصفيائك و موضع أمنائك الذين خصصتهم بها، انتزعوها و أنت المقدر للأشياء، لا يغلب قضاؤك، و لا يجاوز المحتوم من تدبيرك، كيف شئت و أنى شئت، علمك في إرادتك كعلمك في خلقك، حتى عاد صفوتك و خلفاؤك، مغلوبين مقهورين مستترين، يرون حكمك مبدلا، و كتابك منبوذا، و فرائضك محرفة عن جهات شرائعك، و سنن نبيك صلواتك عليه متروكة، اللهم العن أعداءهم من الأولين و الآخرين، و الغادين و الرائحين، و الماضين و الغابرين، اللهم العن جبابرة زماننا، و أشياعهم، و أتباعهم، و أحزابهم، و إخوانهم، إنك على كل شيء قدير".**

ورغم ما يقال عن مقتل المعلى في المدينة سنة 131 في بدء قيام الدولة العباسية، الا ان الكليني يروي في الكافي خبرا عن وجوده بعد ذلك بسنوات، ونشاطه في الدعوة لامامة الصادق، حيث يروي بسنده عن صفوان الجمال قال: إن أبا جعفر المنصور قال لأبي عبد الله (ع): رفع إلي أن مولاك المعلى بن خنيس يدعو إليك ويجمع لك الأموال! فقال: والله ما كان. إلى أن قال المنصور: فأنا أجمع بينك وبين من سعى بك. فجاء الرجل الذي سعى به فقال له أبو عبد الله (ع) : يا هذا أتحلف؟ فقال: نعم، والله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم لقد فعلت. فقال أبو عبد الله (ع): ويلك تبجل الله فيستحيي من تعذيبك، ولكن قل: برئت من حول الله وقوته والتجأت إلى حولي وقوتي. فحلف بها الرجل، فلم يستتمها حتى وقع ميتا، فقال أبو جعفر المنصور: لا أصدق عليك بعد هذا أبدا. وأحسن جائزته ورده .

وقد روى الشيخ المفيد: ان المنصور الخليفة العباسي لما بلغه ما عليه الامام جعفر الصادق، من دعوى الامامة لنفسه أمر حاجبه الربيع بإحضاره الى بغداد فأحضره، فلما بصر به المنصور قال له: قتلني الله إن لم أقتلك، أتلحد في سلطاني وتبغيني الغوائل؟! فقال له أبو عبد الله: والله ما فعلت ولا أردت، فإن كان بلغك فمن كاذب، ولو كنت فعلت لقد ظَلم يوسف فغفر، وابتلي أيوب فصبر، وأعطي سليمان فشكر، فهؤلاء أنبياء الله وإليهم يرجع نسبك.

وبالرغم من هذا النفي من الامام الصادق بالوقوف وراء الدعوة لامامته، فان المصادر الشيعية تروي خشية الامام من تسبب حركة المعلى في الدعوة اليه، بمقتله، وانه قال له: " يا معلى، لا تكونوا أسراء في أيدي الناس بحديثنا، إن شاؤوا آمنوا، وإن شاؤوا قتلوكم". وأن الامام أسر أبا بصير بما يعلمه من مصير المعلى فقال له: "يا أبا بصير، اكتم علي ما أقوله لك في المعلى بن خنيس. قلت: أفعل. قال: أما إنه ما كان ينال درجته إلا بما ينال من داوود بن علي؟ - قال -: يدعو به، فيضرب عنقه ويصلبه. قلت: متى ذلك؟ قال: من قابل".

وقد حدث ما توقع الامام الصادق من رد فعل العباسيين ضد المعلى بن خنيس، حيث دعاه والي المدينة داود بن علي وسأله أن يكتب له أصحاب الصادق، فقال: ما أعرف من أصحابه أحدا، وأنما أنا رجل أختلف في حوائجه. قال: تكتمني! أما أنك لو كتمتني قتلتك! فقال له المعلى: أ بالقتل تهددني، والله لو كانوا تحت قدمي ما رفعت قدمي عنهم لك، ولئن قتلتني ليسعدني الله إن شاء الله ويشقيك، فقتله وصلبه ، ولم يعترف على أحد من أصحاب الإمام الصادق.

ما هو الغلو المنسوب الى المعلى بن خنيس؟

لقد اتهم ابن الغضائري المعلى بالضعف، وقال عنه: ان "**الغلاة يضيفون إليه كثيرا، و لا أرى الاعتماد على شيء من حديثه**". ولكنه لم يبين ماذا كان الغلاة ينسبون اليه، وما اذا كان هو مغاليا؟ وقد مرت علينا عدة روايات عن المعلى حول الامامة الإلهية، وعدم ذكر اسم محمد بن عبد الله في كتاب علي في قائمة أسماء الملوك، وعلم الامام الصادق بمقتل المعلى من قبل داود بن علي، قبل عام، وهي قضايا من علم الغيب، وقد صححها الخوئي، ولم يتوقف عندها، لأنه يعتبرها مسائل عادية بالنسبة للأئمة، وليس فيها غلو. ولكن الخوئي ينقل روايات أخرى تنطوي على معجزات أو أعاجيب، أكثر من علم الغيب، مثلما يروي عن الكشي عن الصفار أنه روى ، عن أحمد بن الحسين، عن أبيه، عن **محمد بن سنان**، عن حماد بن عثمان، عن المعلى بن خنيس، قال: كنت عند أبي عبد الله (ع) في بعض حوائجي، قال: فقال لي: ما لي أراك كئيبا، حزينا؟ قال: فقلت: ما بلغني عن العراق عن هذا الوباء، أذكر عيالي، قال: فاصرف وجهك، فصرفت وجهي، قال: ثم قال: ادخل دارك، قال: فدخلت فإذا أنا أن لا أفقد من عيالي صغيرا و لا كبيرا، إلا و هو لي في داري بما فيها، قال: ثم خرجت، فقال لي: اصرف وجهك فصرفته، فنظرت فلم أر شيئا.

ويروي الكشي نفس الرواية تقريبا ولكن عن لسان الامام الصادق، عن حفص الأبيض التمار، قال: دخلت على أبي عبد الله(ع)أيام صلب المعلى بن خنيس (رحمه الله)، **فقال لي: يا حفص إني أمرت المعلى فخالفني فابتلي بالحديد، إني نظرت إليه يوما وهو كئيب حزين، فقلت: يا معلى كأنك ذكرت أهلك وعيالك؟، قال: أجل. قلت ادن مني، فدنا مني فمسحت وجهه، فقلت: أين تراك، فقال: أراني في أهل بيتي وهو ذا زوجتي، وهذا ولدي. قال: فتركته حتى تملى منهم و استترت منهم، حتى نال ما ينال الرجل من أهله، ثم قلت: ادن مني فدنا مني، فمسحت وجهه فقلت: أين تراك؟ فقال: أراني معك في المدينة".**

ولسنا بحاجة لمناقشة سند هذه الروايات "الاعجازية" التي تشبه السحر، لأنها ترد نفسها بنفسها، ولكن السؤال هو: هل كان المعلى نفسه يبث هذه الأساطير؟ أم كان الغلاة ينسجونها حوله؟

ولم تقتصر الروايات التي تنقل عن المعلى بن خنيس على الروايات الغرائبية، وانما اشتملت أيضا على استباحة أموال (النواصب) كالرواية التي يرويها الطوسي في(**التهذيب): عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن فضالة، عن سيف، عن أبي بكر، عن المعلى بن خنيس، قال: قال أبو عبد الله (ع):"خذ مال الناصب حيثما وجدت، وادفع إلينا خمسه".**

وقد نقل الاخباري هاشم البحراني (ت 1107 هـ) في (البرهان في تفسير القران) بلا سند حوارا طويلا جدا يقال أنه جرى بين المعلى والامام الصادق، تعليقا على حوار جرى بين المعلى ومخالفي الامامية، من فقهاء أهل الكوفة، يتضمن دعوى علم الأئمة بالغيب، والغلو بأئمة أهل البيت، والعنف ضد الشيخين أبي بكر وعمر، وتأويل عدد كبير من آيات القرآن الكريم بصورة تعسفية، كتأويل آية "ما فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ" للقول بأن "الامام أعطي ما لم **يُعطَ ملك مُقرّب ولا نبي مُرسَل**".

الخوئي إمام المذهب المرجعي. ب3 بين الاجتهاد والتقليد في علم الرجال، ف5

كيف ولماذا وثق الخوئي (المفضل بن عمر الجعفي) المغالي المفوض الملعون؟

ربما لا نلوم الخوئي كثيرا على تقليده مشايخ الطائفة الامامية الاثني عشرية، في توثيق كثير من الرواة الناقلين للتراث الامامي، ولكن يحق لنا ان نسأل بتعجب واستغراب: لماذا وثق أخطر الرجال الغلاة الذين ورد اللعن بحقهم من الأئمة، واشتهروا بابتداع نظريات مغالية وتأسيس فرق منحرفة، كالمفضل بن عمر مؤسس فرقة (المفوضة) أو (المفضلية) التي عرفت باسمه، وقيام الخوئي بتبرئته مما نسب اليه، وتأويل اللعن الصادر بحقه بالتقية. وكذلك قيامه بتوثيق وتزكية (النواب الأربعة) الذين ادعوا السفارة عن (الامام المهدي) والذين كانوا محل شبهة على الأقل في دعواهم النيابة الخاصة عن (ابن الامام العسكري) الذي لم يشاهده أحد، لا في حياة أبيه ولا في فترة (الغيبة الصغرى) التي امتدت حوالي سبعين عاما من 260 للهجرة الى 329 هـ.

واذا كنا نعذر الخوئي في تقليده لمشايخ الطائفة الاثني عشرية، في توثيق هؤلاء (النواب الأربعة) فلا يمكن بسهولة اقراره في توثيق المفضل بن عمر. ولا بد أن نسأل عن السر العميق وراء ذلك؟

وسوف نقوم الآن باستعراض كيفية معالجة الخوئي للأحاديث المتناقضة بين اللعن والتوثيق، الصادرة بحق المفضل، واستنتاج رأيه النهائي به. ثم نتحدث لاحقا عن كيفية توثيق (النواب الأربعة).

كيف وثق الخوئي المفضل بن عمر؟

كان "المفضل بن عمر الجعفي" (ت 179هـ) رجلا من أصحاب الامام جعفر الصادق، ثم انتمى الى الفرقة (الخطابية) المغالية التي أسسها في الثلاثينات من القرن الثاني الهجري أبو الخطاب محمد بن أبي زينب مقلاص الكوفي، مولى بني أسد، الذي غالى بالإمام جعفر الصادق، بعد أن كان وكيله ومعتمده في الكوفة.

وقد ادعى أبو الخطاب في البداية علم الإمام الصادق بالغيب ونزول الملائكة عليه وتحدثهم معه، وأنه "محدَّث" ثم تطور إلى القول بأن الأئمة أنبياء. ثم تطور بعد ذلك إلى القول بحلول الله في الامام الصادق، وادعاء النبوة لنفسه (لأبي الخطاب) عنه، مما دفع الامام الى لعنه والتبرؤ منه.

وبعد مقتل أبي الخطاب، قام المفضل بالتنزل درجة عن نسبة الألوهية لأئمة أهل البيت، فقال بالتفويض. أي تفويض الله لهم بالخلق والرزق والحياة والموت والحساب يوم القيامة، وأسس فرقة عرفت باسم "المفوضة" أو "المفضلية" وقد نسب هؤلاء مقولتهم المنحرفة إلى الإمام الصادق، وزعموا أنه قال: "قولوا فينا ما شئتم، واجعلونا مخلوقين".

وقد أسس المفضل الذي ادعى: أن الإمام الصادق سمح له بالتقول عليه ما يشاء، لنوع خطير من الغلو بالأئمة يسبغ عليهم صفات الله وأعماله، ويرفعهم فوق البشر. وقد اختلف "المفضل المفوض" عمن سواه من الغلاة الذين كانوا يؤلهون الأئمة، باعترافه بحدوث الأئمة وخلقهم ونفي القدم عنهم ولكن مع إضافة الخلق والرزق إليهم ودعواه أن الله تعالى تفرد بخلقهم خاصة، وأنه فوض إليهم خلق العالم بما فيه.

وقد اختلف علماء الرجال الشيعة، حول "المفضل" فمنهم من ضعفه وأورد تبرؤ الامام الصادق منه، ومنهم من وثقه، فروى محمد بن عمر الكشي (ت 350هـ) حوله عدة روايات متناقضة، ونقل باسناده عن حماد بن عثمان، قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول للمفضل بن عمر الجعفي: "يا كافر يا مشرك مالك ولإبني" يعني إسماعيل بن جعفر وكان المفضل منقطعا إليه، يقول فيه مع الخطابية ثم رجع بعده. الكشي: ما روى في المفضل بن عمر 581 -

وروى باسناده عن عبد الله بن مسكان، قال: دخل حجر بن زائدة وعامر بن جذاعة الأزدي على أبي عبد الله (ع) فقالا له: جعلنا فداك إن المفضل بن عمر يقول: إنكم تقدرون أرزاق العباد. فقال: والله ما يقدر أرزاقنا إلا الله، ولقد احتجت إلى طعام لعيالي فضاق صدري، وأبلغت إلى الفكرة في ذلك حتى أحرزت قوتهم، فعندها طابت نفسي لعنه الله وبرئ منه. قالا: أ فتلعنه وتتبرأ منه؟ قال: نعم فالعناه وابرءا منه، وبرئ الله ورسوله منه. الكشي: ما روى في المفضل بن عمر - 587 - حدثني الحسين بن الحسين بن بندار القمي، قال: حدثني سعد ابن عبد الله بن أبي خلف القمي، قال: حدثني محمد بن الحسين بن أبي الخطاب والحسن بن موسى، عن صفوان بن يحيى، عن عبد الله بن مسكان، قال، دخل حجر بن زائدة، وعامر بن جذاعة الأزدي على أبي عبد الله عليه السلام فقالا له: ...

وقال الكشي: حدثني حمدويه وإبراهيم ابنا نصير، قالا: حدثنا محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن المفضل بن عمر، أنه كان يشير "إنكما لمن المرسلين". يقول المجلسي في (بحار الأنوار) ج 58 ص 303 ما يلي: أي كان يقول ذلك سرا، وفي بعضها " كان يشير" من الإشارة، والظاهر أنه كان " إنه "

مكان " إنكما " أي كان يدعي نبوة نفسه من قبل الصادق (ع)، وعلى النسخة لعل الخطاب إلى الكاظم (ع) فإن علي بن الحكم من أصحابه، أي يدعي أنك وأباك من المرسلين.

قال الكشي: وذكرت الطيارة الغالية في بعض كتبها عن المفضل: أنه قال: لقد قتل مع أبي إسماعيل (يعني أبا الخطاب) سبعون نبيا كلهم رأى وهلل بنباوته: وأن المفضل قال: أدخلنا على أبي عبد الله (ع) ونحن اثنى عشر رجلا، قال: فجعل أبو عبد الله (ع) يسلم على رجل رجل منا ويسمي كل رجل منا باسم نبي، وقال لبعضنا: السلام عليك يا نوح، وقال لبعضنا: السلام عليك يا إبراهيم، وكان آخر من سلم عليه وقال: السلام عليك يا يونس، ثم قال: لا تخاير بين الأنبياء.

قال أبو عمرو الكشي: قال يحيى بن عبد الحميد الحماني، في كتابه - المؤلف في اثبات امامة أمير المؤمنين (ع): قلت لشريك: ان أقواما يزعمون أن جعفر بن محمد ضعيف في الحديث فقال: أخبرك القصة: كان جعفر بن محمد رجلا صالحا مسلما ورعا، فاكتنفه قوم جهال يدخلون عليه ويخرجون من عنده ويقولون حدثنا جعفر بن محمد، ويحدثون بأحاديث كلها
منكرات كذب موضوعة على جعفر، يستأكلون الناس بذلك ويأخذون منهم الدراهم فكانوا يأتون من ذلك بكل منكر، فسمعت العوام بذلك منهم، فمنهم من هلك ومنهم من أنكر. وهؤلاء مثل المفضل بن عمر، وبنان، وعمرو النبطي وغيرهم، ذكروا أن جعفرا حدثهم أن معرفة الامام تكفي من الصوم والصلاة، وحدثهم عن أبيه عن جده وانه حدثهم ع ه قبل القيامة، توضيح: قوله: " ع ه " رمز عن الرجعة، أي أنه حدثهم عن أبيه عن جده بالرجعة عند ظهور القائم (ع) قبل يوم القيامة.

المجلسي، بحار الأنوار، ج 58 ص 303

وأن عليا (ع) في السحاب يطير مع الريح، وأنه كان يتكلم بعد الموت، وانه كان يتحرك على المغتسل، وأن اله السماء واله الأرض الامام، فجعلوا الله شريكا، جهال ضلال. والله ما قال جعفر شيئا من هذا قط، كان جعفر أتقى لله وأورع من ذلك، فسمع الناس ذلك فضعفوه ولو رأيت جعفرا لعلمت أنه واحد الناس.

وأضاف الكشي:589 - وجدت بخط جبريل بن أحمد الفاريابي في كتابه: حدثني محمد بن عيسى، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن وهب وإسحاق بن عمار قالا: خرجنا نريد زيارة الحسين (ع) فقلنا لو مررنا بأبي عبد الله المفضل بن عمر فعساه يجئ معنا، فأتينا الباب فاستفتحنا فخرج إلينا فأخبرنا، فقال: استخرج الحمار وأخرج فخرج إلينا وركب وركبنا، فطلع لنا الفجر على أربعة فراسخ من الكوفة فنزلنا فصلينا، والمفضل واقف لم ينزل يصلي، فقلنا يا أبا عبد الله ألا تصلي؟ فقال: قد صليت قبل أن أخرج من منزلي.590 - حدثني حمدويه، قال: حدثني محمد بن عيسى، عن ابن أبي عمير

عن حماد بن عثمان، عن إسماعيل بن عامر، قال: دخلت على أبي عبد الله (ع) فوصفت له الأئمة حتى انتهيت إليه، قلت: وإسماعيل من بعدك، فقال: اما ذا فلا، قال حماد فقلت لإسماعيل (بن عامر): وما دعاك إلى أن تقول وإسماعيل من بعدك؟ قال: أمرني المفضل بن عمر.

591 - حدثني محمد بن مسعود، قال: حدثني إسحاق بن محمد البصري، قال: حدثني عبد الله بن القاسم، عن خالد الجوان، قال: كنت أنا والمفضل بن عمر وناس من أصحابنا بالمدينة، وقد تكلمنا في الربوبية، قال: فقلنا مروا إلى باب

أبي عبد الله (ع) حتى نسأله، قال: فقمنا بالباب، قال: فخرج إلينا وهو يقول: بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.قال الكشي: **إسحاق وعبد الله وخالد من أهل الارتفاع**.

وروى الكشي أيضا روايات أخرى عن جماعة من أتباعه الغلاة كمحمد بن سنان ويونس بن ضبيان، عن الامام الصادق وابنه الكاظم، تمدح المفضل، وتدافع عنه وتذم خصومه كحجر بن زائدة، وعامر ابن جذاعة، وأن الشيعة حين أحدث أبو الخطاب ما أحدث خرجوا إلى أبي عبد الله (ع)، فقالوا: أقم لنا رجلا نفزع إليه في أمر ديننا وما نحتاج إليه من الاحكام. قال: لا تحتاجون إلى ذلك، متى ما احتاج أحدكم عرج إلي وسمع مني وينصرف، فقالوا: لابد. فقال: "قد أقمت عليكم المفضل اسمعوا منه واقبلوا عنه، فإنه لا يقول على الله وعلي إلا الحق".

585 - حدثني إبراهيم بن محمد، قال: حدثني سعيد بن عبد الله القمي، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن أبي عمير، عن الحسين بن أحمد عن أسد بن أبي العلا، عن هشام بن أحمر، قال، دخلت على أبي عبد الله (ع) وأنا أريد أن أسأله عن المفضل بن عمر، وهو في ضيعة له في يوم شديد الحر

والعرق يسيل على صدره. فابتداني فقال: نعم والله الذي لا اله الا هو، المفضل بن عمر الجعفي، حتى أحصيت نيفا وثلاثين مرة يقولها ويكررها، قال: انما هو والد بعد والد.قال الكشي: أسد بن أبي العلا يروي المناكير، لعل هذا الخبر انما روى في حال استقامة المفضل قبل أن يصير خطابيا. الكشي، رقم 585 – وقال الخوئي: أقول: وهذه الرواية رواها الشيخ (الطوسي) باسناده، عن هشام بن أحمد باختلاف يسير. الغيبة: في الموضع المتقدم. مما يؤكد انحراف المفضل بعد قوله بالتفويض.

وقال أحمد بن علي النجاشي (توفي 450هـ) عن المفضل : أنه "فاسد المذهب، مضطرب الرواية، لا يعبأ به، وقيل: إنه كان خطابيا، وقد ذكرت له مصنفات لا يعول عليها" . النجاشي، أحمد بن علي، فهرست اسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي) ص 416

وقال احمد بن الحسين بن الغضائري (القرن الخامس) عنه: انه " ضعيف متهافت، مرتفع القول، خطابي، وقد زيد عليه شئ كثير، وحمل الغلاة في حديثه حملا عظيما، ولا يجوز أن يكتب حديثه". رجال ابن الغضائري، ص 87

لقد بحث الخوئي شخصية المفضل بن عمر في معجم رجاله تحت رقم (12615)

واستعرض كل تلك الروايات المادحة والذامة للمفضل بن عمر، ثم قام بالترجيح بينها، وبالرغم من أنه اعترف بصحة بعض الروايات الذامة، الا انه قال: "يرد علمها الى أهلها". وحاول التملص منها باحتمال صدورها للتقية، وشكك بكون المفضل (خطابيا) بناء على قول النجاشي "قيل أنه كان خطابيا". ولكنه لم ينف عنه قوله بالتفويض.

وضعف اتهام النجاشي للمفضل من أنه كان " فاسد المذهب، مضطرب الرواية، لا يعبأ به". وقال الخوئي:عد ابن شهرآشوب **المفضل بن عمر الجعفي من خواص أصحاب الصادق** عليه السلام. المناقب: الجزء 4، ب وعده **من الثقات الذين رووا صريح النص على موسى بن جعفر عليهما السلام من أبيه،**

وأضرب صفحا عن تجريح علماء الرجال الشيعة كالكشي والنجاشي وابن الغضائري، وروايات اللعن الصادرة بحق المفضل من الامام الصادق، واشتهاره بانتمائه أولا الى (الخطابية) ثم تأسيسه لفرقة (المفوضة) التي عرفت باسمه أيضا (المفضلية). واعتمد الخوئي على كتاب

(الاختصاص) المنسوب الى الشيخ المفيد، والذي لم تثبت نسبته اليه، دون أن يشير الى ضعف الكتاب.

واستشهد الخوئي بدلا من ذلك، بتوثيق الشيخ الطوسي (-460) له وعده إياه من "السفراء الممدوحين". وكذلك بتوثيق الشيخ المفيد (- 413) الذي عد المفضل "من خاصة الإمام وبطانته، وثقاته الفقهاء الصالحين، ممن روى النص بالإمامة منه على ابنه موسى الكاظم". وقلده في توثيقه، دون النظر الى انحياز المفيد للمفضل وايمانه بعقيدة التفويض مثله. وبدلا من أن يقوم الخوئي بدراسة الأحاديث المادحة والذامة للمفضل، بموضوعية وحيادية، فانه قام بتقليد الشيخ المفيد (المفوض)، واتخذ موقفا إيجابيا مسبقا من المفضل، ودافع عنه دفاع المستميت.

وقال: **"الذي يتحصل مما ذكرنا أن نسبة التفويض والخطابية إلى المفضل بن عمر لم تثبت، فإن ذلك وإن تقدم عن ابن الغضائري، إلا أن نسبة الكتاب إليه لم تثبت، كما مرت الإشارة إليه غير مرة، وظاهر كلام الكشي وإن كان أن المفضل كان مستقيما ثم صار خطابيا، إلا أن هذا لا شاهد عليه، ويؤكد ذلك كلام النجاشي حيث قال: " وقيل إنه كان خطابيا " فإنه يشعر بعدم ارتضائه، وأنه قول قاله قائل.وأما ما تقدم من الروايات الواردة في ذمه فلا يعتد بما هو ضعيف السند** منها، نعم **إن ثلاث روايات منها تامة السند، إلا أنه لا بد من رد علمها إلى أهلها، فإنها لا تقاوم ما تقدم من الروايات الكثيرة المتضافرة التي لا يبعد دعوى العلم بصدورها من المعصومين إجمالا، على أن فيها ما هو الصحيح سندا، فلابد من حملها على ما حملنا عليه ما ورد من الروايات في ذم زرارة، ومحمد بن مسلم، ويزيد ابن معاوية وأضرابهم.**

ويؤكد ذلك أن الاختلاف إنما هو في الروايات التي رويت عن الصادق (ع) وأما ما روى عن الكاظم والرضا (عليهما السلام) فكلها مادحة على ما تقدم، وهذا يكشف عن أن القدح الصادر عن الصادق سلام الله عليه إنما كان لعلة. ولا يتوقف الخوئي هنا لكي يبحث في سند الروايات المنسوبة للكاظم والرضا، وفيما اذا كانت من الغلاة الضعاف من أصحاب المفضل نفسه.

ويكفي في جلالة المفضل تخصيص الإمام الصادق عليه السلام إياه بكتابه المعروف بتوحيد المفضل، وهو الذي سماه النجاشي بكتاب فكر، وفي ذلك دلالة واضحة على أن المفضل كان من خواص أصحابه ومورد عنايته.

أضف إلى ذلك ما تقدم من توثيق الشيخ المفيد إياه صريحا، ومن عد الشيخ إياه من السفراء الممدوحين، وأما ما ذكره النجاشي من أنه كان " فاسد المذهب ".مضطرب الرواية، لا يعبأ به،... وقد ذكرت له مصنفات لا يعول عليها " ففيه تفصيل:أما قوله فهو فاسد المذهب، فيعارضه ما تقدم من الشيخ المفيد من عده من الفقهاء الصالحين ومن خاصة أبي عبد الله عليه السلام، وبطانته. ولا يسعنا إلا ترجيح كلام الشيخ المفيد على كلام النجاشي من جهة معاضدته بما تقدم من الروايات التي لا يبعد دعوى التبادر الاجمالي فيها.

وأما قوله: مضطرب الرواية، فهو إن صح لا يكشف عن عدم الوثاقة، كما تقدم بيانه في ترجمة المعلى بن محمد البصري.

وأما قوله: وقد ذكرت له مصنفات لا يعول عليها فهو مبني على ما ذكره من أنه فاسد المذهب، مضطرب الرواية، وقد عرفت الحال فيه، على أن الظاهر كلامه أن هذه المصنفات لم يعلم أنها مصنفات المفضل، وإنما هو أمر مذكور، والطريق الذي ذكره إلى كتبه ضعيف.

والنتيجة أن المفضل بن عمر جليل، ثقة، والله العالم.

الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث، ج19، ص 319- 329، رقم- 12615 - المفضل بن عمر أبو عبد الله

وعندما نبحث عن السر في دفاع الخوئي عن المفضل المغالي المفوض الملعون، وتوثيقه له، نجد أن الخوئي يؤيد "المفوضة" ويؤمن بعقيدة "التفويض" في توسط الأئمة في خلق الكون، وتمتعهم بالولاية التكوينية، فهو يقول: "في ولايتهم (ع) التكوينية أما الجهة الأولى، فالظاهر أنه لا شبهة في ولايتهم على المخلوق بأجمعهم، كما يظهر من الأخبار، لكونهم واسطة في الايجاد، وبهم الوجود، وهم السبب في الخلق، إذ لولاهم لما خلق الناس كلهم، وإنما خلقوا لأجلهم، وبهم وجودهم، وهم الواسطة في الإفاضة، بل لهم الولاية التكوينية لما دون الخالق. فهذه الولاية نحو ولاية الله تعالى على الخلق ولاية إيجادية، وإن كانت هي ضعيفة بالنسبة إلى ولاية الله تعالى على الخلق". الخوئي، مصباح الفقاهة ، ج 3 ص 279-280

ب 3

ف6 كيف وثق الخوئي "السفراء الأربعة"؟

يعتبر (النواب الأربعة: عثمان بن سعيد العمري، وابنه محمد، والحسين بن روح النوبختي، وعلي بن محمد السمري) الذين ادعوا النيابة الخاصة عن (الامام الغائب محمد بن الحسن العسكري) في ما يسمى بـفترة (الغيبة الصغرى) التي امتدت من تاريخ وفاة العسكري عام 260 للهجرة الى يوم وفاة آخر نائب عام 320هـ، يعتبرون أخطر أربعة رجال في التاريخ الشيعي، وذلك لدورهم في انقاذ نظرية الامامة الإلهية من الانهيار، ولو ذهنيا، بدعوى وجود (الامام الثاني عشر) واتصالهم المباشر به، وهو ما أدى بعد ذلك الى تأسيس الفرقة (الاثني عشرية).

وكان يجدر بأعظم عالم رجالي شيعي كالخوئي، أن يدرس حقيقة هؤلاء (النواب) ويجتهد في تقييمهم، ولا يقلد أحدا تقليدا أعمى، حتى مشايخ الطائفة الامامية الاثني عشرية كالشيخ الصدوق والمفيد والطوسي وغيرهم، ولا سيما ان هؤلاء الأربعة كانوا بين حوالي عشرين آخرين ادعوا (النيابة الخاصة عن الامام الغائب) في تلك الفترة، وعرفوا بالكذابين، وكان لا بد من معرفة: ما الذي ميز هؤلاء عن أولئك؟ وكيف عرف صدق الأربعة دون غيرهم؟

ان من يقرأ تاريخ (النواب الأربعة) يدرك بسهولة: أنهم كانوا يدعون وجود ولد مخفي للامام العسكري، لم يره أحد غيرهم، ويدعون الاتصال به والنيابة الخاصة عنه. وفي هذا دور منطقي باطل، فهم يدعون وجود الولد بلا دليل تاريخي، ثم يدعون النيابة عنه بلا دليل أيضا، ويزكون أنفسهم برسائل يخرجونها بأنفسهم وبخطهم وينسبونها لذلك الولد المخفي الذي لم يره أحد.

وكان يمكن ان يمر هذا الادعاء على أي انسان بسيط وساذج، ولكن يستحيل أن يمر على أعظم عالم رجالي مثل الخوئي، لولا تبنيه منهج التقليد، والتسليم مسبقا لما يقول مشايخ الطائفة الاثني عشرية، كما مر معنا في فصل سابق.

وربما أيضا لأن الخوئي آمن مسبقا وعن طريق التقليد بنظرية الامامة الإلهية، وكان عليه لينقذها من الانهيار أن يسارع لتصديق (النواب الأربعة) الذين

يقدمون له حبل النجاة المتمثل بـ (الامام المفترض الغائب: الثاني عشر) على طبق من ذهب، فلماذا يزعج نفسه بالتشكيك بصدقهم؟

ولذا يريح الخوئي نفسه من عناء البحث والاجتهاد في حقيقة وجود (الامام الغائب) ويصدق (النواب الأربعة) ويكتفي بالاعتماد على الشيخ الطوسي الذي جاء بعدهم بحوالي مائتي عام، وذلك بعد استقرار النظرية الجديدة (الاثني عشرية) ونقل شفويا تزكيتهم واحدا عن واحد.

1. **السفير الاول أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري (ــ 262)**

وهكذا قال الخوئي عن (النائب الأول):"عده الشيخ في رجاله (تارة) في أصحاب الهادي (ع) قائلا: " عثمان بن سعيد العمري، يكنى أبا عمرو السمان، ويقال له الزيات، خدم الهادي (ع) وله إحدى عشرة سنة، وله إليه عهد معروف "، و (أخرى) في أصحاب العسكري (ع) قائلا: "... جليل القدر، ثقة، وكيله (العسكري) (ع)". وسيأتي عن الشيخ في ترجمة ابنه محمد بن عثمان بن سعيد أيضا، أن (عثمان ابن سعيد) وكيل من جهة صاحب الزمان (ع) وله منزلة جليلة عند الطائفة. وتقدم له مدح بليغ في رواية الكشي في ترجمة إبراهيم بن عبده النيسابوري. وذكره الشيخ في السفراء الممدوحين وأثنى عليه، وروى عدة روايات في مدحه وجلالته، منها: ما رواه عن جماعة، عن أبي محمد هارون بن موسى، عن أبي علي محمد بن همام الإسكافي، قال: " حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري، قال: حدثنا أحمد بن إسحاق بن سعد القمي، قال: دخلت على أبي الحسن علي بن محمد (ص) في يوم من الأيام، فقلت: يا سيدي أنا أغيب وأشهد ولا يتهيأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت، فقول من نقبل وأمر من نمتثل؟ فقال لي: "هذا أبو عمرو الثقة الأمين ما قاله لكم فعني يقوله وما أداه إليكم فعني يؤديه". فلما مضى أبو الحسن (ع) وصلت إلى أبي محمد ابنه الحسن العسكري (ع) ذات يوم، فقلت له مثل قولي لأبيه، فقال لي: "هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات فما قاله لكم فعني يقوله وما أدى إليكم فعني يؤديه". والرواية صحيحة، والروايات في مدحه وجلالته متظافرة.

منها: ما رواه محمد بن يعقوب بسند صحيح، عن أبي علي أحمد بن إسحاق، عن أبي الحسن (ع) قال: سألته، وقلت: من أعامل أو عمن آخذ؟ وقول من أقبل؟ فقال له: "العمري ثقتي، فما أدى إليك عني فعني يؤدي، وما قال لك عني فعني يقول، فاسمع له وأطع، فإنه الثقة المأمون".

وسأل أبو علي أبا محمد (ع) عن مثل ذلك، فقال له: "العمري وابنه ثقتان، فما أديا إليك عني فعني يؤديان، وما قالا لك فعني يقولان، فاسمع لهما وأطعهما، فإنهما الثقتان المأمونان".

ورواها الشيخ (الطوسي) بسنده، عن محمد بن يعقوب نحوه. ـ

وقد قبل الخوئي هذه الرواية وقال عنها أنها "صحيحة" بالرغم من أنها تتضمن دعوى علم الامام العسكري بالغيب، وتوثيق العمري في المستقبل بعد وفاته.

وهناك رواية أخرى مشابهة ذكرها الطوسي، ولم يذكرها الخوئي، وهي أكثر صراحة بتوكيل العسكري للعمري في المستقبل، وهذه الرواية يرويها الطوسي عن ابي محمد هارون بن موسى عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري عن جماعة من الشيعة، أن الامام العسكري أعلن وكالة العمري عن الامام المهدي في مجلس ضم عددا من اقطاب الشيعة جاؤوا يسألون عن الخلف من بعده فقال لهم: " اقبلوا من عثمان ما يقوله ، وانتهوا الى أمره ، واقبلوا قوله، فهو خليفة امامكم والأمر اليه".

وفي رواية أخرى مشابهة يرويها الطوسي حول وثاقة العمري وابنه، عن الامام العسكري أنه قال: " اشهدوا علي أن عثمان بن سعيد العمري وكيلي وان ابنه محمدا وكيل ابني مهديكم".

وهاتان الروايتان اللتان تتضمنان دعوى علم الامام العسكري بالغيب وماذا يحدث في المستقبل، وهي من مفاهيم الغلاة . وقد قال الشيخ الصدوق في (اكمال الدين): "ان من ينحل للائمة علم الغيب فهذا كفر بالله وخروج عن الاسلام عندنا". وقال:" الغيب لا يعلمه الا الله وما ادعاه لبشر الا مشرك كافر".

وقال علي ابن ابراهيم القمي في تفسيره المعروف ، في تفسير هذه الآية: " ان الله عندة علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا

تكسب غدا وما تدري نفس بأي ارض تموت ان اللّه عليم خبير" قال الصادق(ع) : "هذه الخمسة اشياء لم يطلع عليها ملك مقرّب ولا نبي مرسل ، وهي من صفات اللّه عز وجل".

ومن هنا ، وبعد سقوط هذه الروايات لضعفها متنا وسندا ، فانا نكاد نحصل على نتيجة هي : ان العمري الذي كان وكيلا للامامين الهادي والعسكري في قبض الاموال ، قد استصحب الوكالة وادعاها للمهدي دون ان يقدم دليلا واضحا واكيدا عليها .. ولذلك لا يؤكد المؤرخون بصراحة على توكيل المهدي له ، وهذا الطبرسي الذي كان حريصا على تدوين كل ما وصل اليه لا يقول في كتابه (الاحتجاج) اكثر من انه : " قام بأمر صاحب الزمان ، وكانت توقيعاته وجوابات المسائل تخرج على يديه".

ولم يذكر المؤرخون الشيعة اية (معجزة) له تثبت دعوى النيابة ، بالرغم من قول السيد عبداللّه شبر في (حق اليقين): "ان الشيعة لم تقبل قول النواب الا بعد ظهور آية معجزة تظهر على يد كل واحد منهم من قبل صاحب الامر تدل على صدق مقالتهم وصحة نيابتهم".

وكما يلاحظ فان الخوئي اعتمد كليا على الشيخ الطوسي في التوثيق، ولم يبذل أي جهد حتى في تحقيق الروايات التي ينقلها عن مشايخ الطائفة الاثني عشرية، الذين وثقوا بالطبع (النواب الأربعة) وضعفوا مخالفيهم أدعياء (النيابة الخاصة) الآخرين.

ولم يتحدث الخوئي كيف أصبح العمري عثمان بن سعيد (نائبا خاصا أو سفيرا عن الامام المهدي) بالرغم من أن الخوئي - كما يظهر- قد اطلع على كتاب الصدوق (إكمال الدين) وكتاب الطوسي (الغيبة) الا انه لم يبحث دعوى النيابة بالتفصيل، ولم يشر الى الحيرة التي وقع فيها شيعة الامام العسكري، بعد إعلانه عدم وجود خلف له أمام قاضي (سر من رأى) الحسين بن أبي الشوارب، وعدم معرفة أحد بوجود ولد له في السر أو العلن، وتفرق الشيعة الى أربع عشرة فرقة، وقيامهم بالبحث والفحص والتنقيب والسؤال وعدم عثورهم على أي أثر للولد المزعوم، ما عدا أولئك (النواب الأربعة) الذين ادعوا وجود ولد في السر، ثم ادعوا النيابة الخاصة عنه، وقيامهم بقبض الأموال من الشيعة باسمه، مما يلقي بشبهة الكذب والادعاء الزائف على المدعين بلا دليل، ويجعلهم جميعا من المذمومين.

1. **السفير الثاني محمد بن عثمان العمري (- 305)**

لم يذكر المؤرخون الشيعة نصا مباشرا عليه من المهدي بتعيينه نائبا عنه ، وقال الطوسي: انه قام مقام ابيه بنص أبي محمد (الحسن العسكري) عليه ونص أبيه عثمان بأمر القائم) . ولا يوجد اي طريق لإثبات أن العمري قد نص على ابنه محمد بأمر القائم ، ويبدو انه تخمين من قبل الطوسي بذلك ، كما لا يوجد في الحقيقة اي دليل لاثبات النص من الأب على الابن سوى الوراثة والادعاء . وقال عبد الله الحميري: لما مضى ابو عمرو أتتنا الكتب بالخط الذي كنا نكاتب به باقامة ابي جعفر مقامه.

وذكر الطوسي رواية عن عبدالله بن جعفر الحميري القمي الذي أيد دعوى محمد بن عثمان العمري في النيابة والوكالة عن المهدي ، قال فيها : ان المهدي قد ارسل الى العمري (توقيعا) يعزيه فيه بوفاة والده عثمان بن سعيد ، ويحمد الله على قيامه مقامه ويدعو له بالتوفيق .

وهي الرواية التي تشبث بها الخوئي، في توثيق العمري الابن، فقال: خرج التوقيع إلى الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري (قدس الله روحه)، في التعزية بأبيه (رضي الله تعالى عنه)، وفيه: "أجزل الله لك الثواب وأحسن لك العزاء، رزيت ورزينا، وأوحشك فراقه وأوحشنا، فسره الله في منقلبه، كان من كمال سعادته أن رزقه الله تعالى ولدا مثلك، يخلفه من بعده، ويقوم مقامه بأمره، ويترحم عليه، وأقول الحمد الله فإن الأنفس طيبة بمكانك، وما جعله الله عز وجل فيك وعندك، وأعانك الله وقواك، وعضدك ووفقك، وكان لك وليا وحافظا، وراعيا، وكافيا".

ولم يتوقف الخوئي ليحقق في مصدر هذا (التوقيع) الذي رواه العمري محمد نفسه، عن (الولد) المفترض الذي لم يثبت وجوده، والذي يفترض أن عمره كان حوالي سبع سنوات، وينصب العمري نفسه على أساسه وكيلا عنه، ويمدح نفسه بما يشاء. دون أن يسأل الخوئي ما هو الدليل على صدق (التوقيع)؟!.

كما نقل الطوسي تأييد محمد بن ابراهيم بن مهزيار (مدعي الوكالة في الاهواز) لمحمد بن عثمان العمري ، وذلك بناء على رسالة من الامام المهدي اليه . وهي رواية ضعيفة لأن ابن مهزيار يعترف فيها أنه كان يشك في وجود

المهدي في البداية، وقد ادعى الوكالة بعد ذلك في اعقاب لقائه بالعمري في بغداد، وبالتالي فانه مشكوك في أمره ، ولا يقول في روايته كيف خرج اليه التوقيع؟ مباشرة؟ أو عبر العمري؟.. فان كان يدعي انه وصله مباشرة فكيف ؟..وهل رأى المهدي بنفسه وهو لا يدعي ذلك؟..أم عن طريق العمري ؟..وهذا ما يثير الشك ايضا؟..

وروى الطوسي ايضا عن جماعة ، عن ابي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه وأبي غالب الزراري وأبي محمد التلعكبري كلهم عن محمد بن يعقوب (الكليني) عن اسحاق بن يعقوب انه سأل العمري ان يوصل له كتابا الى المهدي ، فجاءه التوقيع بخط المهدي بالترضي على العمري وتوثيقه . وهذه أيضا رواية ضعيفة لوجود الشك باختلاق العمري لها ولمجهولية وضعف اسحاق بن يعقوب ، وعدم تصريحه بكيفية التعرف على خط المهدي ..علما بأن الطوسي يقول: ان الخطوط التي كانت تخرج بها التوقيعات هي نفس الخطوط التي كانت تخرج في زمان العسكري .

وبالرغم من كل تلك الشكوك حول صدق العمري الابن، فان الخوئي وثق مدعي (النيابة الخاصة) الثاني محمد بن عثمان العمري، الذي ظل مهيمنا على زعامة الشيعة الذين آمنوا بوجود الولد (الامام الغائب ابن العسكري) حوالي أربعين عاما. وقد قلد الخوئي في توثيقه له مشايخ الطائفة كالكليني والصدوق والكشي والطوسي، ولم يجتهد في البحث، وقال عنه في (معجمه) ما يلي: " محمد بن عثمان بن سعيد العمري يكنى أبا جعفر، وأبوه يكنى أبا عمرو، جميعا وكيلان من جهة صاحب الزمان (ع) ولهما منزلة جليلة عند الطائفة. والروايات في جلالته وعظمة مقامه متضافرة، منها: ما رواه الكليني بسند صحيح، عن أحمد بن إسحاق أبي علي، أنه سأل أبا محمد الحسن بن علي، فقال: من أعامل أو عمن آخذ، وقول من أقبل؟ فقال (ع) له: العمري (عثمان ابن سعيد) وابنه ثقتان، فما أديا إليك فعني يؤديان".

وصدق الخوئي بسرعة ما رواه الصدوق (ت 381) والطوسي (ت 460) عن عبد الله بن جعفر الحميري أنه قال: سألت محمد بن عثمان العمري، فقلت له: رأيت صاحب هذا الامر (ع) ؟ فقال: "نعم، وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام، وهو يقول: اللهم أنجز لي ما وعدتني. ورأيته صلوات الله عليه متعلقا بأستار الكعبة في المستجار، وهو يقول: اللهم انتقم لي من أعدائك". ويؤكد الخوئي أن الطريق الى الحميري صحيح، بالرغم من أن ادعاء العمري رؤية

(الامام الغائب) لا دليل عليها الا قوله، وهو متهم بالكذب، ومن المتوقع أن يدعي الرؤية، بعد ادعائه بالنيابة عنه. وهو لم يقل كيف تعرف على المهدي الذي لم يره من قبل؟.. وربما كان قد اشتبه به مع رجل آخر.. وعلى فرض صحتها فانها لا تدل على النيابة الخاصة.

ولكن الخوئي يقلد مشايخ الطائفة دون تأمل ولا تفكير.

ونتيجة لغياب النصوص الصحيحة والمؤكدة على نيابة العمري فقد حاول الشيخ الطوسي ان يتشبث بدليل المعاجز لاثبات ذلك فروى عن هبة اللّه (حفيد العمري): ان معجزات الامام قد ظهرت على يديه ، وانه كان يخبر عن الغيب . و ذكر الطوسي خبرا عن علي بن احمد الدلال ان العمري اخبره بساعة وفاته من يوم كذا وشهر كذا وسنة كذا فمات في اليوم الذي ذكره من الشهر الذي ذكره من السنة التي ذكرها، وكان ذلك في آخر جمادى الاولى من سنة 305. وأنه كان قد حفر لنفسه قبراً وسواه بالساج، فسئل عن ذلك، فقال: للناس أسباب، ثم سئل بعد ذلك، فقال: قد أمرت أن أجمع أمري، فمات بعد ذلك بشهرين في جمادي الأولى سنة خمس وثلاثمائة".

وهي رواية تتضمن علم (الامام الغائب المفترض) بالغيب، واخبار العمري مسبقا بموعد وفاته، وهذا أمر لا يعلمه الا اللّه، ولكن الطوسي والخوئي لم يتوقفا عند تعارض هذا الخبر مع القرآن الكريم الذي يقول: " وما تدري نفس ماذا تكسب غدا، وما تدري نفس بأي أرض تموت". (لقمان 34) وأيدا نيابة العمري بناء على ذلك.

الصراع بين العمري وأدعياء النيابة الآخرين

وتكشف رواية يذكرها المجلسي في (بحارالانوار) عن كتاب (النجوم) عن ابن جرير الطبري (الشيعي) يرفعها الى ابي العباس احمد السراج الدينوري: عن ان نيابة العمري لم تستقر بين الشيعة بعد وفاة ابيه ، وانه كان في بغداد عدد من ادعياء النيابة كالباقطاني واسحق الاحمر ، وكان الشيعة يترددون في (الحيرة) بين عدة اقوال.

وكان على رأس المشككين بصحة ادعاء العمري الابن بالنيابة عن (الامام الغائب) احمد بن هلال العبرتائي شيخ الشيعة في الكرخ وبغداد ، الذي نقل الفزاري عنه أنه شهد مجلس عرض الحسن العسكري لابنه وتعيين العمري الأب عثمان بن سعيد، خليفة له . فقد أنكر العبرتائي أن يكون سمع الامام

العسكري ينص على محمد العمري بالوكالة، ورفض الاعتراف بوكالته عن صاحب الزمان. وهذا ما ادى الى قيام العمري بلعن ابن هلال، وحدوث الخلاف بينهما بعد أن كان يعتبر من دعائم أبيه .

أما الرجل الثاني الكبير الذي اختلف مع (النائب الثاني) العمري، فقد كان أحمد بن علي بن بلال، الذي كان يعتبر من أصحاب العسكري، و"من الوكلاء الذين رأوا الحجة سلام الله عليه، ووقفوا على معجزاته" كما يقول الشيخ الصدوق.

وقد نقل الخوئي: توقيع العسكري (ع) الى إسحاق بن اسماعيل: " اقرأ كتابنا على البلالي رضي الله عنه، فانه الثقة المأمون، العارف بما يجب عليه". وعقب عليه بقوله: "فلا شك في أن الرجل كان مستقيما ثقة ، وقد روى عنه أبو القاسم الحسين بن روح حال استقامته، وقال: اختلف أصحابنا في التفويض وغيره فمضيت إلى أبي طاهر بن بلال في أيام استقامته فعرفته الخلاف، فقال: أخرني، فأخرته أياما فعدت إليه، فأخرج إلي حديثا باسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام... (الحديث). ويظهر من هذه الرواية، أنه كان من الجلالة والعظمة بمرتبة كان يراجعه أبو القاسم الحسين بن روح. وقد روى محمد بن يعقوب، عن علي بن محمد، عن محمد بن علي بن بلال، قال: خرج إلي من أبي محمد قبل مضيه بسنتين، يخبرني بالخلف من بعده، ثم خرج إلي من قبل مضيه بثلاثة أيام يخبرني بالخلف من بعده".

ولكن هذا البلالي مدعي (النيابة الخاصة) اختلف مع (النائب الثاني العمري) حول المال الذي كان يجبيه من الشيعة، كما يقول الطوسي (والخوئي) "وتمسكه بالأموال التي كانت عنده للامام وامتناعه من تسليمها، وادعائه أنه الوكيل حتى تبرأت الجماعة منه ولعنوه، وخرج فيه من (صاحب الزمان) ما هو معروف".

ورغم أن الاثنين البلالي والعمري، كانا يدعيان النيابة والوكالة عن (الامام الغائب) الا انهما اختلفا حول المال، وانتصر العمري على البلالي بالدعاية والإعلام، وربما حتى بالدعم السياسي من الخلفاء العباسيين، وجاء الطوسي بعد حوالي مائتي عام ليقف الى صف العمري، ويصف البلالي بأنه من السفراء المذمومين، أي المدعين الكاذبين. ثم جاء الخوئي بعد ألف عام لكي يقلد الطوسي ويقول: "أن البلالي مع جلالته، فقد أخلد الى الأرض واتبع هواه وادعى البابية".

وكما يلاحظ فان الخوئي اعتمد كليا على الشيخ الطوسي في التوثيق والتضعيف، ولم يسأله: لماذا لعن البلالي بسبب ادعائه البابية، ولم يلعن

العمري بنفس السبب؟ وكيف اصبح الأول مدعيا كاذبا ملعونا، والثاني صادقا موثقا؟ وكلاهما كان يدعي (النيابة) بلا دليل.

3- **السفير الثالث ابو القاسم الحسين بن روح النوبختي** (- 326)

واذا كان الخوئي قد بحث قليلا في موضوع النائبين العمريين الأول والثاني، فانه أعرض عن أية مناقشة حول (النائب الثالث) الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح بن أبي روح النوبختي، واكتفى بوصفه بأنه "أحد أعلام آل نوبخت وثقات الشيعة المرضيين عند الكل، كان محدثا فاضلا ومتكلما مناظرا، روى عنه الحسين ابن علي بن موسى بن بابويه وجماعة من كبار الشيعة، ويروي هو عن أبيه (رضي الله عنه) وغيره من أئمة العلم الكبار في المائة الثالثة".

ومن الواضح أن الخوئي يكتفي بتقليد مشايخ الطائفة ويعرض عن البحث والتدقيق في صحة دعوى النوبختي، حيث لا يجد فائدة أو فارقا كبيرا، بعد توثيقه للنواب السابقين، ولكن يجدر بنا التوقف قليلا عند هذا المدعي الثالث لنتبين حقيقته.

فكما يقول الطوسي: ان النوبختي قد اصبح (وكيلا عن الامام المهدي) بناء على وصية محمد بن عثمان بن سعيد العمري اليه . وأما الصدوق فيروي في اثبات نيابة النوبختي عن المهدي قصصا (اعجازية) تعتمد على دعوى علم النوبختي بالغيب، و اخبار الناس بذلك.

واذا كان بالامكان تصديق النص من العمري فانه لا يمكن تصديق (المعاجز) المنسوبة الى النوبختي، لأنها تتناقض مع القرآن الكريم الذي ينفي علم الغيب عن اي احد من البشر. ولوجود الشك في صحة نسبتها الى الصدوق واحتمال وضعها على لسانه ، واضافتها الى كتابة :(اكمال الدين) الذي يتهم هو فيه من ينحل علم الغيب للائمة بالكفر بالله والخروج عن الاسلام . ويقول ـ كما مر ـ : "ان الغيب لا يعلمه الا الله وما ادعاه لبشر الا مشرك كافر".

فاذا كان العمري هو في موضع شك ، وكذلك ابوه عثمان ، فان النص لا يثبت على النوبختي ، واذا كانت (المعاجز) المدعاة له ايضا غير قابلة للاثبات فضلا عن التصديق، فانه لا يمكن اثبات صحة دعوى النوبختي بالوكالة عن الامام المهدي.

وان في لجوء النوبختي الى علماء قم من أجل التحقق من كتب الشلمغاني الذي انشق عنه وادعى النيابة عن المهدي وتطرف في الغلو، وطلب تمييزها وارسال كتاب (التأديب) اليهم من اجل النظر فيه والتأكد من عدم وجود اخطاء فيه. ان في ذلك دلالة على عدم وجود اتصال بين النوبختي وبين (الامام الغائب) والا لكان عرض كتب الشلمغاني عليه وسأله عن صحتها.

وان مما يعزز الشك في عدم وجود اية حلقة بين النوبختي وبين (الامام) او أي شخص وراء الغيب هو عدم قيام النوبختي كسائر الوكلاء والنواب بملأ الفراغ الفقهي ، وتوضيح كثير من الامور الغامضة التي كان يجب عليه تبيانها في تلك المرحلة لو كان لديه اي اتصال بالامام.

وقد دفعت هذه الحلقة المفقودة الشيخ حسن الفريد (زميل الامام الخميني) الى التعجب والاستغراب والحيرة والتساؤل عن السر وراء عدم سؤال الكليني من (صاحب الزمان) عبر وكيله النوبختي عن حكم مسألة الخمس في عصر الغيبة؟

هذا فضلا عن ان النوبختي كان يضطرب بين دعوى النيابة عن الامام الغائب، والتحالف مع الخليفة العباسي الراضي الذي كان يميل الى التشيع ، ووزرائه من آل الفرات الغلاة اتباع النميري وبين التطرف في التظاهر بالتسنن وتفضيل عثمان على الامام علي بن ابي طالب (ع) خلافا للعامة من أهل السنة الذين كانوا يعجبون منه. وقد ذكر الطوسي رواية عن ام كلثوم بنت العمري تقول: ان النوبختي كان مدعوما من آل الفرات وغيرهم من الوزراء والرؤساء.

وربما كان تبوء النوبختي لمنصب (النيابة عن الامام الغائب) بدعم من الخليفة العباسي المعاصر له الراضي ، وقد اكد المؤرخ المعاصر المختص بالغيبة محمد الصدر: ان النوبختي كان على علاقة قوية به، وان قتل الراضي للشلمغاني والحلاج ـ وهما من منافسي النوبختي وادعياء (النيابة الخاصة عن الامام المهدي) ـ كان بسبب انحرافهما عن النوبختي ، وانه كان باتفاق مشترك بين الخليفة والنوبختي.

ومن هنا فقد رفض قسم من الشيعة الاعتراف بمقام النوبختي كوكيل عن المهدي أو حتى كوصي عن العمري ، وشككوا في صحة دعواه ، وكان ابن اخي العمري ابو بكر البغدادي واحدا منهم ، وقد اعلن هذا وكالة نفسه عن المهدي وأوصى من بعده الى ابي دلف الكاتب.

1. **السفير الرابع ابو الحسن علي بن محمد السمري (- 329)**

وقد اوصى اليه النوبختي بالوكالة ، واصبح بذلك (وكيلا عن المهدي) بعده ، ولم يقدم اي دليل على صحة اتصاله بالمهدي سوى ما يحكى عنه من (الإخبار بالغيب) واعلان وفاة علي بن بابويه الصدوق في قم وهو في بغداد في نفس اليوم. كما ينقل الخوئي عن الطوسي عن جماعة قالوا: حضرنا بغداد في السنة التي توفي فيها علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، وكان أبو الحسن علي بن محمد السمري (قدس سره) يسألنا عن خبر علي بن الحسين (رحمه الله) فنقول: قد ورد الكتاب باستقلاله، حتى كان اليوم الذي قبض فيه، فسألنا عنه فذكرنا له مثل ذلك، فقال: آجركم الله في علي بن الحسين، فقد قبض في هذه الساعة، قالوا:فأثبتنا تاريخ الساعة واليوم والشهر فلما كان بعد سبعة عشر يوما، أو ثمانية عشر يوما، ورد الخبر أنه قبض في تلك الساعة التي ذكرها الشيخ أبو الحسن".

وما يقال من أن السمري أخبر الشيعة بتاريخ وفاته خلال ستة ايام. كما نقل الخوئي عن الطوسي في كتاب (الغيبة) في أواخر أحوال (السفراء الممدوحين) عند ذكر أمر أبي الحسن علي بن محمد السمري، حيث قال: " أخبرنا جماعة، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، قال: حدثني أبو محمد أحمد بن الحسن المكتب، قال: كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ أبو الحسن علي بن محمد السمري ، فحضرته قبل وفاته بأيام فأخرج إلى الناس توقيعا نسخته:

- "بسم الله الرحمن، يا علي بن محمد السمري، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فأجمع أمرك، ولا توص إلى أحد، فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلا بإذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جورا، وسيأتي على شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني، والصيحة فهو كذاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".

قال: فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلما كان اليوم السادس عدنا إليه، وهو يجود بنفسه، فقيل له: من وصيك من بعدك؟ فقال: "لله أمر هو بالغه". وقضى، فهذا آخر كلام سمع منه".

وقد اعتبر الصدوق والطوسي إخبار السمري بذلك دليلا على اتصاله بالمهدي الذي يرتبط بالسماء ويعلم الغيب ، بالرغم من انه لم يثبت اساسا تبني السمري نفسه لدعوى (النيابة الخاصة) حيث لم يذكر عنه اي شيء ، فان الادلة التي تذكر لتدعيم دعوى نيابته من العلم بالغيب أو بتاريخ الوفاة من قبل، أمر يتناقض مع القرآن الكريم الذي يقول: "وما تدري نفس ما ذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي ارض تموت" وهو من اقوال الغلاة الذين افتى الصدوق في (اكمال الدين) بكفرهم وخروجهم عن الدين لنسبتهم علم الغيب الى الائمة او الى اي احد من البشر.

وهناك شك في صحة نسبة هذه القصص التي رواها الطوسي بعد اكثر من مائة عام من وفاة السمري ونسبها اليه بلا اسناد ، ويحتمل ان تكون قصصا موضوعة من قبل الغلاة والكذابين ، كما يحتمل ان تكون من وضع اصدقاء السمري بعد وفاته بمدة من الزمن .

ولو كان الخوئي يتوقف عند هذه القصص الأسطورية، ويتأمل فيها، لأعاد النظر في حقيقة دعوى السمري، ودعاوي النواب السابقين الآخرين، عن (الامام الغائب) ولأيقن بأنهم لم يكونوا بتلك الدرجة من الوثاقة والجلالة، اذا لم يكونوا من الدجالين المذمومين.

ف 7

الخوئي يوثق الامام زيد بن علي بناء على إيمانه بنظرية الامامة الالهية

ينطوي التراث الامامي الذي جمع في القرن الرابع الهجري كالكافي للكيني، والأمالي والعيون للصدوق، ومعرفة الرجال للكشي، والإرشاد للمفيد على أحاديث متناقضة يمدح بعضها الامام زيد بن علي، في حين يذمه بعضها الآخر، وقد استعرضها الخوئئ جميعا، وتوصل الى وثاقة الامام زيد، ولكن بناء على تأويل تلك الأحاديث التي تتهمه بالانشقاق عن الامام "الشرعي" وتفسير حركته الثورية بأنها كانت بإذن الامام الصادق.

وقد قام الخوئي بتضعيف سند معظم الروايات المادحة والذامة لزيد، ثم كون صورة إيجابية عن زيد، اعتمادا على إيمانه بنظرية الامامة الإلهية، دون أن يقوم بدراسة موضوعية محايدة، أو يطلع على المصادر الأخرى غير الامامية كالمصادر الزيدية والسنية، التي تقدم صورة أخرى عن زيد كامام مستقل يؤمن بالجهاد ولا يؤمن بنظرية الامامة الإلهية، التي كان الاماميون ينسبونها للامامين الباقر والصادق، ولم يتوقف الخوئي بالطبع عند نفي الامام الصادق لها عن نفسه، كما يوجد في المصادر الامامية كالكافي.

وتبنى الخوئي ما رواه الشيخ المفيد عن زيد بقوله: **"اعتقد كثير من الشيعة فيه الإمامة، و كان سبب اعتقادهم ذلك فيه خروجه بالسيف يدعو إلى الرضا من آل محمد (ع) فظنوه يريد بذلك نفسه و لم يكن يريدها به لمعرفته باستحقاق أخيه للإمامة من قبله و وصيته عند وفاته إلى أبي عبد الله (ع)".**

وما رواه الكليني عن عيص بن القاسم، قال: سمعت أبا عبد الله(ع)يقول: "عليكم بتقوى الله وحده لا شريك له .. فانظروا على أي شيء تخرجون و لا تقولوا خرج زيد، إن زيدا كان عالما و كان صدوقا **و لم يدعكم إلى نفسه إنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد**(ع)، و لو ظهر لوفى بما دعاكم إليه إنما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه".

فهل كان الامام زيد فعلا يعرف نظرية الامامة الالهية التي طرحها أخوه الامام محمد الباقر، ويؤمن بطاعته كإمام مفترض الطاعة؟

لا توجد لدينا مصادر قديمة موثوقة من زمن الامامين الباقر وزيد، وانما لدينا روايات متناقضة في مصادر شيعية امامية وزيدية وسنية متأخرة، من القرنين الثالث والرابع، وبعضها مسند، وبعضها الآخر مرسل، أو يأتي عبر رجال مجهولين وضعاف، أو منحازين لهذا المذهب أو ذاك، الا انه بالنظر الى جميع الروايات المختلفة، والمقارنة بينها وبين بعض الأحداث المتواترة، كأخذ زيد بيعة شيعة الكوفة والقيام بالثورة ضد الحكم الاموي، نستطيع أن نصل الى بعض النتائج المهمة الحاسمة.

ولكي نقترب من الحقيقة قليلا، علينا أن نأخذ من الروايات الخطوط العريضة، والأحداث الكبرى، ونضع علامات استفهام حول تفاصيل ما قال فلان وفلان، ولا سيما اذا كانت الرواية صادرة عن شخص غير محايد، وبسند غير متصل، يتضمن مجاهيل، مثل هذه الرواية التي يرويها الكليني في القرن الرابع الهجري، عن محمد بن يحيى، عن أحمد ابن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن الحسين بن الجارود، عن موسى بن بكر ابن داب (ذاب ، ذئاب)، عمن حدّثه، عن أبي جعفر (ع) : أنّ زيد بن علي دخل على أبي جعفر ومعه كتب من أهل الكوفة يدعونه فيها إلى أنفسهم ويخبرونه باجتماعهم ويأمرونه بالخروج، فقال له أبو جعفر: هذه الكتب ابتداء منهم أو جواب ما كتبت به إليهم ودعوتهم إليه؟ فقال: بل ابتداء من القوم لمعرفتهم بحقّنا وبقرابتنا من رسول اللّٰهّ (ص) ولما يجدون في كتاب اللّٰهّ عزّ وجلّ من وجوب مودتنا وفرض طاعتنا ولما نحن فيه

من الضيق والضنك والبلاء، فقال له أبو جعفر: إنّ الطاعة مفروضة من اللّٰهّ عزّ وجلّ وسنة أمضاها في الأولين وكذلك يجريها في الآخرين، والطاعة لواحد منا والمودة للجميع، وأمر اللّٰهّ يجري لأوليائه بحكم موصول وقضاء مفصول وحتم مقضي وقدر مقدور وأجل مسمّى لوقت معلوم، فلا يستخفنك الذين لا يوقنون إنهم لن يغنوا عنك من اللّٰهّ شيئا فلا تعجل فإنّ اللّٰهّ لا يعجل لعجلة العباد، ولا تسبقن اللّٰهّ فتعجزك البلية فتصرعك، قال: فغضب زيد عند ذلك ثم قال: ليس الامام منا من جلس في بيته وأرخى ستره وثبط عن الجهاد، ولكن الامام منا من منع حوزته وجاهد في سبيل اللّٰهّ حقّ جهاده ودفع عن رعيته وذبّ عن حرمه.
قال أبو جعفر: هل تعرف يا أخي من نفسك شيئا مما نسبتها إليه فتجيء عليه بشاهد من كتاب اللّٰهّ أو حجّة من رسول اللّٰهّ (ص) أو تضرب به مثلاً .. أتريد يا أخي أن تحيي ملة قوم كفروا بآيات اللّٰهّ وعصوا رسوله؟ أعيذك باللّه يا أخي أن تكون غداً المصلوب بالكناسة، ثم ارفضت عيناه وسالت دموعه ثم قال: اللّٰهّ بيننا وبين من هتك سترنا وجحدنا حقّنا وأفشى سرّنا ونسبنا إلى غير جدّنا وقال فينا ما لم نقله في أنفسنا".

وهذه الرواية – كما يقول الخوئي في (معجم الرجال) -: ضعيفة بالارسال وبجهالة الحسين بن الجارود وموسى بن بكر.

ولكن لا يمكن اسقاطها بالمرة، فلا شك أن أهل الكوفة قد راسلوا الامام زيد، وأنه قد جرى حوار بينه وبين أخيه الباقر، وأنه كان يختلف معه في الموقف من النظام الأموي، حيث كان الباقر يذهب الى التزام التقية، بينما يخطط زيد للثورة المسلحة، وبما أن الرواية ضعيفة ومروية عن اماميين، فلنا ان نشك بما تضمنته من أقوال للامام الباقر، مثل: "إنّ الطاعة مفروضة من اللّٰهّ عزّ وجلّ وسنة أمضاها في الاولين وكذلك يجريها في الآخرين والطاعة لواحد منا والمودة للجميع". وهذا ما لا دليل عليه، ولا على إيمان زيد به، حيث أنه لم يكن يؤمن بنظرية الامامة الإلهية التي يقال ان الباقر كان يتبناها. وكان يعتقد أن الامامة ليست بالنص أو الوراثة وانما بالثورة والجهاد. وهو ما نجده في روايات أخرى. مثل هذه التي يرويها الكشي في ترجمة أبي بكر الحضرمي وعلقمة : أنهما دخلا على زيد بن على، فجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، وكان بلغهما أنه قال: "ليس الامام منا من أرخى عليه ستره، وإنما الامام من شهر سيفه" فقال له أبوبكر وكان أجرأهما: يا أبا الحسين أخبرني عن علي بن أبي طالب (ع) أ كان

إماماً وهو مرخ عليه ستره؟ أو لم يكن إماماً حتى خرج وشهر سيفه؟ قال: فسكت فلم يجبه، فردّ عليه الكلام ثلاث مرات كلّ ذلك لا يجيبه بشيء، فقال له أبوبكر: إن كان علي بن أبي طالب (ع) إماماً فقد يجوز أن يكون بعده إمام مرخ عليه ستره، وإن لم يكن إماماً وهو مرخ عليه ستره فأنت ما جاء بك ها هنا؟

وكذلك ما يرويه الكشي في ترجمة إبراهيم بن نعيم أبي الصباح الكناني، باسناده عنه ، قال: فأتيته (زيداً) فدخلت عليه وسلّمت عليه فقلت له: يا أبا الحسين بلغني أنك قلت الائمة أربعة، ثلاثة مضوا، والرابع هو القائم. قال: هكذا قلت (الى أن قال): ومضيت إلى أبي عبد اللّهّ (ع) ودخلت عليه وقصصت عليه ما جرى بيني وبين زيد، فقال: "أرأيت لو أنّ اللّهّ تعالى ابتلى زيداً، فخرج منا سيفان آخران بأيّ شيء يعرف أيّ السيوف سيف الحقّ؟ واللّهّ ما هو كما قال، ولئن خرج ليقتلن" قال: فرجعت فانتهيت الى القادسية، فاستقبلني الخبر بقتله رحمه اللّهّ.

وكل هذه الروايات يضعفها الخوئي، لعدم وثاقة بعض الاسناد أو مجهولية بعض الرواة، فلا يمكن الاطمئنان لجميع التفاصيل الواردة فيها، ولا سيما تعليق الامام الصادق على كلام زيد، ولكن أيضا لا يمكن اسقاطها بالمرة، فهي تؤكد بالجملة رأي الامام زيد بالامامة على أساس الخروج. وهو موقف معروف يؤكده المؤرخون الشيعة.

فقد كان الامام زيد يتصرف انطلاقا من إيمانه بحقه في الثورة والامامة العادية السياسية (وليست الإلهية) ولذلك، ورغم تحذير الباقر له من الخروج، فانه مضى لما يريد بعد وفاته ببضع سنوات، بقرار شخصي منه دون تنسيق أو استصدار إذن من ابن أخيه الامام جعفر الصادق (إمام الوقت بنظر الشيعة الامامية)، الذي كان يتخذ موقفا مضادا لزيد ويقول: "لا تكون الامامة في أخوين بعد الحسن والحسين". وهذا ما أدى الى انشقاق فريق من الشيعة الامامية عنه أو عدم الالتحاق به من البداية. كما روي عن الإمام الزيدي الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم (ت 298هـ) أنه قال :حدثني أبي عن أبيه، قال: لما ظهر زيد بن علي (ع) دعا الناس إلى نصرة الحق فأجابته الشيعة وكثير من غيرها ،وقعد قوم عنه وقالوا له: لست أنت الإمام، قال: فمن هو؟ فقالوا: ابن أخيك جعفر، فقال لهم: إن قال جعفر أنه الإمام فقد

صدق، فاكتبوا إليه وسلوه... ومنطق جعفر (ع) يعرفونه في عمه بأن الإمام هو زيد وأنه أفضلهم، وسيدهم وأخيَرهم، وسيأمرهم بمبايعته، فلما رجعوا إلى الإمام زيد، قالوا: إنه يداريك، حينها قال الإمام زيد: ويلكم إمام يداري من غير بأس أو يكتم حقا، أو يخشى في الله أحدا، فأمرهم الإمام زيد بن علي أن يبايعوه كما بويع الإمام علي والحسن والحسين، فقالوا: لن نفعل. حينها قال: "الله أكبر، أنتم والله الروافض الذي ذكر جدي رسول الله قال: "سيكون من بعدي قوم يرفضون الجهاد مع الأخيار من أهل بيتي، ويقولون ليس عليهم أمر بمعروف، ولا نهي عن منكر، يقلدون دينهم ويتبعون أهوائهم" اللهم اجعل لعنتك ولعنة أبائي وأجدادي ولعنتي على هؤلاء القوم الذين رفضوني، وخرجوا من بيعتي.."

وقال مستنكرا قولهم بأنه أخذا الإمامة من أبيه وأخيه: "فجرت إذا ، وعققت والدي، وظلمت أخي، وافتريت عليهما، أنا أعلم بوالدي وأخي منكم، وإن هذه للفرية على الله وعلينا."

وهذه رواية زيدية تؤكدها المصادر الامامية، كالكافي للكليني، الذي يروي بسنده عن أبان، قال: أخبرني الاحول (محمد بن علي النعمان الأحول المعروف بمؤمن الطاق): أنّ زيد بن علي بن الحسين (ع) بعث إليه وهو مستخف، قال: فأتيته فقال لى: يا أبا جعفر ما تقول إن طرقك طارق منا أتخرج معه، قال: فقلت له: إن كان أباك أو أخاك خرجت معه، قال: فقال لي: فأنا أريد أن أخرج أجاهد هؤلاء القوم فاخرج معي، قال: قلت: لا ما أفعل جعلت فداك، قال: فقال لي: أترغب بنفسك عني؟ قال: قلت له: إنما هي نفس واحدة فإن كان للّه في الارض حجّة فالمتخلّف عنك ناج والخارج معك هالك وإن لا تكن للّه حجّة في الارض فالمتخلّف عنك والخارج معك سواء، قال: فقال لي: يا أبا جعفر كنت أجلس مع أبي على الخوان فيلقمني البضعة السمينة ويبرّد لي اللقمة الحارة حتى تبرد شفقة علي ولم يشفق عليّ من حرّ النار، إذ أخبرك بالدين ولم يخبرني به؟ فقلت له: جعلت فداك من شفقته عليك من حرّ النار لم يخبرك، خاف عليك أن لا تقبله فتدخل النار، واخبرني أنا فإن قبلت نجوت وإن لم أقبل لم يبال أن أدخل النار، ثم قلت له: جعلت فداك أنتم أفضل أم الانبياء؟ قال: بل الانبياء، قلت: يقول يعقوب ليوسف: "يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً" لمَ لم يخبرهم حتى كانوا لا يكيدونه ولكن كتمهم ذلك، فكذلك أبوك كتمك لأنه خاف عليك... فحججت فحدّثت أبا عبداللّهّ (ع) بمقالة زيد وما قلت له، فقال لي: **أخذته من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه ولم تترك له مسلكاً يسلكه**.

ويروي الكشي رواية مشابهة بسنده عن زرارة بن أعين، قال: قال لي زيد بن على، وأنا عند أبي عبد اللّهّ (ع): ما تقول يا فتى، في رجل من آل محمد (ص) استنصرك؟ فقلت: إن كان مفروض الطاعة نصرته، وإن كان غير مفروض الطاعة فلي أن أفعل ولي أن لا أفعل. فلما خرج قال أبو عبداللّهّ (ع): **أخذته واللّهّ من بين يديه ومن خلفه وما تركت له مخرجاً.**

وبالرغم من ضعف هذه الروايات من حيث السند، كما يقول الخوئي أيضا، فانها تتفق حول رفض بعض الشيعة الامامية الالتحاق بثورة زيد، لإيمانهم بعدم تمتعه بالشرعية الدينية. وهذه حقيقة تاريخية لا جدال فيها.

واذا صحت هذه الرواية فانها تكشف عن عدم معرفة الامام زيد بنظرية الامامة الإلهية وعدم اعترافه بما كان ينسب لأخيه الامام الباقر، حسب رواية الشيعة الامامية. وهو ما سار عليه أتباعه الذين عرفوا بالزيدية، كما يقول الامام الزيدي أحمد بن يحيى ابن المرتضى (ت 840): " الزيدية منسوبة إلى زيد بن علي (ع) يجمع مذهبهم تفضيل علي (ع) وأولويته بالإمامة وقصرها في البطنين، واستحقاقها بالفضل والطلب لا بالوراثة ووجوب الخروج على الجائرين".

وكما يقول الشيخ المفيد أيضا: "وأمّا الزيدية فهم القائلون بإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والحسن والحسين وزيد بن علي (عليهم السلام) وبإمامة كل فاطمي دعا إلى نفسه وهو على ظاهر العدالة، ومن أهل العلم والشجاعة وكانت بيعته على تجريد السيف للجهاد ".

موقف الامام زيد من الشيخين

ويمكننا معرفة عقيدة الامام زيد السياسية، وعدم إيمانه بنظرية الامامة الإلهية أو النص على الامام علي، من خلال موقفه الإيجابي المعروف من الشيخين أبي بكر وعمر، حيث لم يقل باغتصابهما للخلافة، كما يقول الامامية، وقد كان موقفه هذا سببا من أسباب تفرق (الرافضة) عنه عشية قيامه بالثورة على هشام بن عبد الملك، فقد روى أبو مخنف في (تاريخه) "أن بعض الشيعة أتوا إلى الإمام زيد بعد أن بلغهم أن والي الكوفة قد علم بأمر الإمام زيد فقالو له: " رحمك اللّهِ! ما قولك في أبي بكر وعمر؟ قال زيد: رحمهما اللّهِ وغفر لهما، ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما، ولا يقول فيهما إلا خيرا، قالوا: فلم تطلب إذا بدم أهل هذا البيت، إلا أن وثبا على سلطانكم فنزعاه من أيديكم! فقال لهم زيد: إن أشد ما أقول فيما ذكرتم: إنا كنا أحق بسلطان رسول اللّه (ص) من الناسِ أجمعين، وإن القوم استأثروا علينا، ودفعونا عنه، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفرا، قد وَلوا فعدلوا في الناس، وعملوا بالكتاب والسنة. قالوا: فلم يظلمك هؤلاء إن كان أولئك لم يظلموك؟ فلم تدعو إلى قتال قوم ليسوا لك بظالمين؟! فقال: إن هؤلاء ليسوا كأولئك، إن هؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم، وإنما ندعوكم إلى كتاب اللّه وسنة نبيه (ص) وإلى السنن أن تحيا، وإلى البدع أن تطفأ، فإن أنتم أجبتمونا سعدتم، وإن أنتم أبيتم فلست عليكم

بوكيل. ففارقوه ونكثوا ببعته، وقالوا: سبق الإمام. وكانوا يزعمون آن آبا جعفر محمد بن علي أخا زيد بن علي هو الإمام".

وقال عبد القادر البغدادي: " كان زيد بن علي قد بايعه على إمامته خمسة عشر ألف رجلٍ من أهل الكوفة، وخرج بهم على والي العراق وهو يوسف بن عمر الثقفي قالوا له: إنا ننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظلما جدك علي بن أبي طالب، فقال زيد: إني لا أقول فيهما إلا خيرًا، وما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيرًا، وإنما خرجت على بني أمية الذين قتلوا جدي الحسين، وأغاروا على المدينة يوم الحرة، ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار. ففارقوه عند ذلك حتى قال لهم "رفضتموني" ومن يومئذٍ سموا رافضة".

وقد ورد في (مسند الامام زيد بن علي) ما يلي: "أما السيد زيد بن علي زين العابدين ... وهو الذي تنسب إليه الزيدية، وقد بايعه ناس كثير من أهل الكوفة وطلبوا منه أن يتبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر لينصروه، فقال: كلا، بل أتولاهما. فقالوا: اذن نرفضك، فقال: اذهبوا فأنتم الرافضة، فسموا رافضة من حينئذ. وجاءت طائفة وقالوا: نحن نتولاهما ونتبرأ ممن تبرأ منهما فقبلهم فقاتلوا معه فسموا زيدية ".

وقال الإمام يحيى بن حمزة المؤيد بالله (ت 745هـ): "روي أن الإمام زيد بن علي كان كثير الثناء على الشيخين أبي بكر وعمر والترحم عليهما، وينهى عن سبهما، ويعاقب على ذلك، والمشهور أن بعض الناس قالوا: لا نبايعك حتى تبرأ من الشيخين فقال: كيف أتبرأ منهما وهما صهرا جدي وصاحباه ووزيراه؟ وجعل يثني عليهما، فرفضوه".

الرواية الامامية: زيد كان يوالي الباقر والصادق.

ورغم أن قيام الامام زيد بالثورة وأخذ البيعة من الشيعة، يدل على طبيعة نظريته في الامامة العادية السياسية، الا أنّ الامامية، ولا سيما المتأخرين منهم

في القرن الرابع الهجري، رووا عدة روايات عن الامامين الصادق والرضا، بأن زيداً ما دعا إلى نفسه وإنّما دعا (إلى الرضا من آل محمّد)، وأنّه لو ظفر لوفى، وفسروا هذه الروايات بأنّ زيدا كان يمهّد الطريق "لولاية الاِمام المنصوص عليه في لسان النبي والاَئمة الصادقين". فقد رووا عن الامام الصادق (ع) انه قال: "إنّ زيداً كان مؤمناً وكان عارفاً وكان صدوقاً أما إنّه لو ظفر لوفى، أما إنّه لو ملك عرف كيف يضعها". وأنه قال: "إنّ زيداً كان عالماً وكان صدوقاً ولم يدعكم إلى نفسه وإنما دعاكم إلى الرضا من آل محمّد، ولو ظفر لوفى بما دعاكم إليه، وإنّما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه ".

وقد روى الصدوق (ت 381) عن الرضا عن أبيه موسى أنّه سمع أباه جعفر بن محمد يقول: رحم اللّهّ عمي زيداً إنّه دعا إلى الرضا من آل محمد ولو ظفر لوفى بما دعا إليه، ولقد استشارني في خروجه فقلت له: يا عم إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك، فلما ولى قال جعفر بن محمد (ع): ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه.. إنّ زيد بن علي لم يدع ما ليس له بحق، وإنّه كان أتقى من ذلك، إنّه قال: أدعوكم إلى الرضا من آل محمد (ع) إنّما جاء ما جاء فيمن يدّعي أنّ اللّهّ نصَّ عليه، ثم يدعو إلى غير دين اللّهّ ويضل عن سبيله بغير علم، وكان زيد بن علي واللّهّ ممن خوطب بهذه الآية : "وَجاهِدُوا فِي اللّهِّ حَقَّ جِهادِهِ هُوَ اجتَباكُم".

وروى أبو عمرو الكشي (ت 340) عن الامام زيد قوله: "جعفر إمامنا في الحلال والحرام".

ونسب الصدوق قولا الى الامام زيد أنه قال: "في كل زمان رجل منّا أهل البيت يحتج اللّهّ به على خلقه، حجّة زماننا ابن أخي جعفر بن محمد لا يضل من تبعه ولا يهتدي من خالفه".

وبالرغم من وضوح واشتهار موقف الامام زيد الايجابي من الشيخين، بسبب عدم إيمانه بالنص على الامام علي، فان الامامية المتأخرين رووا عنه ما يخالف ذلك الموقف، مثل ما رواه الكشي في ترجمة (سلمة بن كهيل وأبي المقدام وسالم بن أبي حفصة وكثيرالنواء) (110 - 113) باسناده عن سدير قال: دخلت

على أبي جعفر (ع) ومعي سلمة بن كهيل وجماعة معهم وعند أبي جعفر أخوه زيد بن علي فقالوا لأبي جعفر (ع): نتولّى علياً وحسناً وحسيناً ونتبرأ من أعدائهم قال (ع): نعم، قالوا: نتولّى أبا بكر وعمر ونتبرأ من أعدائهم؟ قال: فالتفت إليهم زيد بن علي وقال لهم: أتتبرؤون من فاطمة؟!! بترتم أمرنا بتركم اللّه. فيومئذ سمّوا (البترية).

وقد حاول الخوئي أن يرد معظم الروايات القادحة بزيد، بتضعيف السند، وتأويل الرواية الوحيدة التي وثقها، وهي رواية الكليني في الكافي في باب الاضطرار إلى الحجة 1، الحديث 5: "عن عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن أبان قال: أخبرني الأحول أن زيد بن علي بن الحسين(ع)بعث إليه و هو مستخف، قال: فأتيته فقال لي: يا أبا جعفر ما تقول إن طرقك طارق منا أ تخرج معه، قال: فقلت له: إن كان أباك أو أخاك خرجت معه، قال: فقال لي: فأنا أريد أن أخرج أجاهد هؤلاء القوم فاخرج معي، قال: قلت لا ما أفعل جعلت فداك، قال: فقال لي: أ ترغب بنفسك عني؟ قال: قلت له: إنما هي نفس واحدة فإن كان لله في الأرض حجة فالمتخلف عنك ناج و الخارج معك هالك و إن لا تكن لله حجة في الأرض فالمتخلف عنك و الخارج معك سواء، قال: فقال لي: يا أبا جعفر كنت أجلس مع أبي على الخوان فيلقمني البضعة السمينة و يبرد لي اللقمة الحارة حتى تبرد شفقة علي و لم يشفق علي من حر النار، إذن أخبرك بالدين و لم يخبرني به؟ فقلت له: جعلت فداك من شفقته عليك من حر النار لم يخبرك، خاف عليك أن لا تقبله فتدخل النار، و أخبرني أنا فإن قبلت نجوت و إن لم أقبل لم يبال أن أدخل النار، ثم قلت له: جعلت فداك أنتم أفضل أم الأنبياء؟، قال: بل الأنبياء، قلت: يقول يعقوب ليوسف: (يٰا بُنَيَّ لٰا تَقْصُصْ رُؤْيٰاكَ عَلىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً) لم لم يخبرهم حتى كانوا لا يكيدونه و لكن كتمهم ذلك، فكذلك أبوك كتمك لأنه خاف عليك، قال: فقال: أما و الله لئن قلت ذلك لقد حدثني صاحبك بالمدينة أني أقتل و أصلب بالكناسة و أن عنده لصحيفة فيها قتلي و صلبي، فحججت فحدثت أبا عبد الله(ع) بمقالة زيد، و ما قلت له، فقال لي أخذته من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله و من فوق رأسه و من تحت قدميه و لم تترك له مسلكا يسلكه".

فقال الخوئي: "هذه الرواية و إن كانت بحسب السند قوية إلا أن دلالتها على قدح زيد تتوقف على دلالتها على عدم اعتراف زيد بوجود حجة غيره و أنه لو كان لأخبره أبوه بذلك، و قد ناظره الأحول مؤمن الطاق في ذلك و ذكر أن عدم إخبار أبيه إياه بذلك كان شفقة منه عليه، و هذه فاسدة جزما. بيان ذلك: أن الأحول كان من الفضلاء المبرزين و كان عارفا بمقام الإمامة و مزاياها فكيف يمكن أن ينسب إلى السجاد (ع) أنه لم يخبر زيدا بالإمام بعده شفقة منه عليه، و هل يجوز إخفاء الإمامة من جهة الشفقة النسبية، على أن زيدا- و العياذ بالله- لو كان بحيث لو أخبره السجاد

(ع) بالإمام بعده لم يقبله فهو كان من المعاندين، فكيف يمكن أن يكون- مع ذلك- موردا لشفقة الإمام (ع)؟ فالصحيح أن الرواية غير ناظرة إلى ذلك، بل المراد بها أن زيدا حيث طلب من الأحول الخروج معه و هو كان من المعاريف و كان في خروجه معه تقوية لأمر زيد، اعتذر الأحول، عن ذلك بأن الخروج لا يكون إلا مع الإمام و إلا فالخارج يكون هالكا و المتخلف ناجيا، و حينئذ لم يتمكن زيد من جوابه بأنه مأذون من قبل الإمام وأن خروجه بإذنه لأنه كان من الأسرار التي لا يجوز له كشفها أجابه بنحو آخر و هو أنه عارف بوظيفته و أحكام دينه، و استدل عليه بأنه كيف يمكن أن يخبرك أبي بمعالم الدين و لا يخبرني بها مع كثرة شفقته علي، و أشار بذلك إلى أنه لا يرتكب شيئا لا يجوز له إلا أنه لم يصرح بالإذن خوفا من الانتشار و توجه الخطر إلى الإمام (ع) و لكن الأحول لم يفهم مراد زيد فقال: عدم إخباره كان من شفقته عليك و أراد بذلك: أنه لا يجوز لك الخروج بدون إذن الإمام و قد أخبرني بذلك السجاد، و لم يخبرك بذلك شفقة منه عليك فتحير زيد في الجواب فقال: و الله لئن قلت ذلك لقد حدثني صاحبك بالمدينة أني أقتل و أصلب بالكناسة، و أراد بذلك بيان أن خروجه ليس لطلب الرئاسة و الزعامة بل هو يعلم بأنه يقتل و يصلب، فخروجه لأمر لا يريد بيانه. هذا و إن الأحول لم يصل إلى ما أراده زيد فحج و حدث أبا عبد الله (ع)، بالقصة و أما قول أبي عبد الله(ع)أخذته من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله و من فوق رأسه و من تحت قدميه و لم تترك له مسلكا يسلكه، فهو لا يدل على قدح زيد، و إنما يدل على حسن مناظرة الأحول في عدم إجابته زيدا في الخروج معه حيث إنه لم يكن مأذونا في ذلك من قبل الإمام(ع)، و المفروض أنه لم يكن عالما بأن زيدا كان مأذونا من قبله. و يؤكد ما ذكرناه ما في عدة من الروايات من اعتراف زيد بإمامة أئمة الهدى (ع) و قد تقدمت جملة منها، فتحصل مما ذكرنا أن زيدا جليل ممدوح و ليس هنا شيء يدل على قدح فيه أو انحرافه".

ومن الواضح أن الخوئي يبني رأيه هذا بصورة تعسفية على فرضيات خيالية، ويرتكز على ثبوت نظرية الامامة، وامامة الباقر والصادق، اللذين لا يوجد عليهما أن نص من الله، دون أن يبحث هذا الموضوع بصورة مستقلة. ولو لم يتوصل الخوئي الى هذه الفرضية لكان قد اتخذ موقفا سلبيا من الامام زيد الذي لا يؤمن بنظرية الامامة.

ف 8 **تضعيف شيخ الطالبيين عبد الله المحض**

يقرأ الخوئي التاريخ الشيعي دائما بعيون (امامية) ولا يتأنى لكي يقرأه بعيون الباحث المحقق المحايد، ولذلك يمر على بعض الروايات الموجودة في المصادر (الاثني عشرية) كالكشي والطوسي وابن طاووس، والتي تزكي وتوثق شيخ الطالبيين في زمانه عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن، مرور الكرام، ويتشبث ببعض الروايات التي تذمه وتجرحه، ويسارع للحكم عليه بأنه (مجروح)!

ولننظر في الروايات التي ينقلها الخوئي في (معجمه) تحت رقم (6805) عن (رجال الشيخ الطوسي) الذي يقول: " أبو محمد، شيخ الطالبيين (رضي الله عنه)، من أصحاب الباقر (ع)". وعده من أصحاب الصادق (ع) أيضا، قائلا: " عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) أبو محمد، هاشمي مدني تابعي".

وبعد عرض تلك الروايات المادحة لعبد الله المحض، يستعرض الخوئي الروايات التي يعتقد انها ذامة له، فيقول: "ثم إن الروايات قد كثرت في ذم عبد الله هذا، فروى الصفار، عن العباس ابن معروف، عن حماد بن سليمان، عن ابن مسكان، عن سليمان بن هارون، قال: قلت لأبي عبد الله (ع): إن (العجلية) يزعمون أن عبد الله بن الحسن يدعي أن سيف رسول الله (ص) عنده، قال (ع): والله لقد كذب، فوالله ما هو عنده وما رآه بواحدة من عينيه قط، ولا رآه أبوه إلا أن يكون رآه عند علي بن الحسين (ع)، وإن صاحبه لمحفوظ ومحفوظ له. ولا يذهبن يمينا ولا شمالا فإن الامر واضح، والله لو أن أهل الأرض اجتمعوا على أن يحولوا هذا الأمر من موضعه الذي وضعه الله ما استطاعوا، ولو أن خلق الله كلهم جميعا كفروا حتى لا يبقى أحد جاء الله لهذا الامر بأهل يكونون هم أهله".

ثم علق الخوئي على سند هذه الرواية، بالقول:" هذه الرواية رواها المجلسي عن (بصائر الدرجات) كما ذكرنا، إلا أن المذكور في ما رواه: حماد بن عيسى) بدل (حماد بن سليمان. ولا يبعد صحة ما في (البحار) بقرينة الراوي والمروي عنه.ثم إن سليمان بن هارون في الرواية هو العجلي، كما يظهر من الرواية الآتية، وعليه فالسند صحيح".

وأضاف الخوئي: "وروى الصفار أيضا في هذا الباب، ... عن علي بن سعيد، قال: كنت جالسا عند أبي عبد الله (ع)، وعنده محمد بن عبد الله بن علي إلى

جنبه جالسا، وفي المجلس عبد الملك بن أعين ومحمد الطيار وشهاب بن عبد ربه، فقال رجل من أصحابنا: جعلت فداك، إن عبد الله بن الحسن يقول: ليس لنا في هذا الأمر ما ليس لغيرنا! فقال أبو عبد الله (ع) بعد كلام: "أما تعجبون من عبد الله يزعم أن أباه عليا لم يكن إماما، ويقول: إنه ليس لنا علم. وصدق والله ما عنده علم".(الحديث).

وروى أيضا، عن يعقوب بن يزيد، ومحمد بن الحسين، عن محمد بن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن علي بن سعيد، قال: كنت قاعدا عند أبي عبد الله (ع)، (إلى أن قال): فقال محمد بن عبد الله بن علي: العجب لعبد الله ابن الحسن أنه يهزأ ويقول في جفركم الذي تدعون!! فغضب أبو عبد الله (ع)، فقال: العجب لعبد الله بن الحسن يقول: ليس فينا إمام، صدق ما هو بإمام ولا كان أبوه إماما ويزعم أن علي بن أبي طالب لم يكن إماما ويرد ذلك!!.

وروى محمد بن يعقوب، عن الحسين بن محمد، عن المعلى بن محمد، عن محمد بن علي، قال: أخبرني سماعة بن مهران، قال: أخبرني الكلبي النسابة، قال: دخلت المدينة ولست أعرف شيئا من هذا الامر، فأتيت المسجد فإذا جماعة من قريش، فقلت أخبروني عن عالم أهل هذا البيت، فقالوا: عبد الله بن الحسن، فأتيت منزله ... فدخلت فإذا أنا بالشيخ معتكف شديد الاجتهاد... قلت: أخبرني عن رجل قال لامرأته أنت طالق عدد نجوم السماء، فقال: تبين برأس الجوزاء والباقي وزر عليه وعقوبة، فقلت في نفسي واحدة، فقلت: ما يقول الشيخ في المسح على الخفين؟ فقال: قد مسح قوم صالحون، ونحن أهل البيت لا نمسح، فقلت في نفسي ثنتان، فقلت ما تقول في أكل الجري أحلال هو أم حرام؟ فقال: حلال إلا أنا أهل البيت نعافه، فقلت في نفسي ثلاث، فقلت: ما تقول في شرب النبيذ؟ فقال: حلال إلا أنا أهل البيت لا نشربه، فخرجت من عنده وأنا أقول: هذه العصابة تكذب على أهل هذا البيت.

وعلق الخوئي عليها قائلا: هذه الرواية تدل على أن عبد الله بن الحسن كان قد نصب نفسه للإمامة وكان يفتي بغير ما أنزل الله. ويأتي في ترجمة عبد الله بن النجاشي (أبي بجير) عن الكشي أن عبد الله بن الحسن كان مرجعا للزيدية وكان يتصدى للفتيا.

وروى الشيخ المفيد، عن أبي الفرج بأسانيد متعددة، عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي (ع)، عن أبيه، أن جماعة من بني هاشم اجتمعوا بالأبواء وفيهم إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وأبو جعفر
المنصور، وصالح بن علي، وعبد الله بن الحسن، وابناه محمد وإبراهيم، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، فقال صالح بن علي: قد علمتم أنكم الذين يمد الناس إليهم أعينهم وقد جمعكم الله في هذا الموضع فاعقدوا بيعة لرجل منكم تعطونه إياها من أنفسكم وتواثقوا على ذلك حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين، فحمد الله عبد الله بن الحسن وأثنى عليه، ثم قال: قد علمتم أن ابني هذا هو المهدي!! فهلم فلنبايعه... فبايعوا محمدا ومسحوا على يده، قال عيسى: وجاء رسول عبد الله بن الحسن إلى أبي أن ائتنا فإنا مجتمعون لأمر، وأرسل بذلك إلى جعفر بن محمد (ع)، وقال غير عيسى: أن عبد الله بن الحسن قال لمن حضر: لا تريدوا جعفرا فإنا نخاف أن يفسد عليكم أمركم، قال عيسى بن عبد الله بن محمد، فأرسلني أبي أنظر ما اجتمعوا له، فجئتهم... وجاء جعفر بن محمد (ع) فأوسع له عبد الله بن الحسن إلى جنبه فتكلم بمثل كلامه، فقال جعفر (ع): لا تفعلوا فإن هذا الامر لم يأت بعد، إن كنت ترى (يعني عبد الله،) أن ابنك هذا هو المهدي فليس به ولا هذا أوانه، وإن كنت إنما تريد أن تخرجه غضبا لله وليأمر بالمعروف وينهي عن المنكر فإنا والله لا ندعك - فأنت شيخنا - ونبايع ابنك في هذا الامر، فغضب عبد الله، وقال: لقد علمت خلاف ما تقول ووالله ما أطلعك الله على غيبه، ولكنه يحملك على هذا الحسد لابني!!
(الحديث)ثم قال الشيخ المفيد (قدس سره) بعد هذا الحديث: فصل وهذا حديث مشهور كالذي قبله لا تختلف العلماء بالآثار في صحتها".

ثم يعود الخوئي، فينقل رواية مادحة، ويقول: "وبإزاء هذه الروايات ما رواه السيد رضي الدين علي بن طاوس، قال: سأذكر تعزية لمولانا جعفر بن محمد الصادق (ع) كتبها إلى بني عمه (رضوان الله عليهم) لما حبسوا ... رويناها باسنادنا ... ورويناها أيضا باسنادنا إلى جدي أبي جعفر الطوسي ... عن عطية بن نجيح بن المطهر الرازي وإسحاق بن عمار الصيرفي، قالا معا: إن أبا عبد الله جعفر بن محمد (ع)، كتب إلى عبد الله بن الحسن - رضي الله عنه - حين حمل هو وأهل بيته يعزيه عما صار إليه: بسم الله الرحمن الرحيم إلى الخلف الصالح والذرية الطيبة من ولد أخيه وابن عمه: أما بعد فلئن كنت تفردت أنت

وأهل بيتك ممن حمل معك بما أصابكم ما انفردت بالحزن والغيظة والكآبة وأليم وجع القلب دوني، فلقد نالني من ذلك من الجزع، والقلق وحر المصيبة مثل ما نالك..".

ثم يعلق الخوئي على هذه الرواية بما يلي: "أقول: هذه الرواية لو سلمت أنها منقولة عن الشيخ الطوسي بجميع طرق السيد ابن طاووس إليه التي بعضها صحيح، فلا إشكال في أنها من شواذ الروايات، ولا يمكن أن تقع معارضة للروايات المشهورة في ذم عبد الله بن الحسن، على أنه كيف يمكن رواية المفيد لهذه الرواية مع روايته عن عبد الله بن الحسن مكالمته لأبي عبد الله (ع) بما تقشعر منه الجلود، وقوله: هذا حديث مشهور لا تختلف العلماء بالآثار في صحته؟"

ثم يستنتج الخوئي: "والمتحصل مما ذكرناه: أن عبد الله بن الحسن مجروح مذموم، ولا أقل من أنه لم يثبت وثاقته أو حسنه، والله العالم".

وبالرغم من أن الروايات "الذامة" ينقلها الخوئي عن مصادر الامامية غير المحايدة، والمضادة للزيدية وعبدالله المحض، الا أنها تتضمن أيضا الترضي من الامام الصادق على ابن عمه عبد الله المحض وأبناء عمه، حين اعتقلهم المنصور العباسي، وإن كان بعضها يتضمن وجود خلاف بين عبد الله والصادق في الفقه والسياسة، وهذا صحيح، ولكنه لم يرق الى التجريح بشخصية عبد الله (شيخ الطالبيين في زمانه) ولم يكن الخلاف مع الصادق يعني أنه على خطأ أو ان الصادق على حق، الا في عيون (الامامية) الذين يقدسون الصادق كإمام معين من الله، والا فان الخلاف الفقهي والسياسي طبيعي جدا، ولا سيما في اجماع كبار أهل البيت على تأييد دعوة عبد الله لمبايعة ابنه محمد ذي النفس الزكية، في مؤتمر الأبواء، واستعداد الصادق لمبايعة عبد الله.

ولكن الخوئي الذي يتخذ موقفا اماميا مسبقا من الاثنين لا يملك الا أن ينحاز الى الصادق ويقوم بتجريح شخصية عبد الله بلا مبرر، على الرغم من ترضي الصادق عليه وتفجعه باعتقاله الذي أدى الى إعدامه مع عدد من أهل بيته.

ولو افترضنا صحة رواية الكليني عن علي بن سعيد، عن أبي عبد الله (ع): "العجب لعبد الله بن الحسن يقول: ليس فينا إمام، صدق ما هو بإمام ولا كان أبوه إماما ويزعم أن علي بن أبي طالب لم يكن إماما ويرد ذلك". فانها لا تشكل مادة للذم، بقدر ما تعبر عن رأيه ورأي عامة أهل البيت في ذلك الزمان بعدم وجود نص الهي أو نبوي على الامامة.

وكذلك رواية الكليني عن الكلبي النسابة الذي دخل المدينة وسأل عن عالم أهل البيت، فأرشده الناس الى عبد الله المحض، وسأله عدة مسائل وأجاب عنها بأجوبة لم تعجبه أو تختلف عن رأي الصادق. فانها أيضا لا تشكل مادة إدانة لعبد الله المحض، بقدر ما تعبر عن رأيه، ولا تتضمن كذبا على أهل البيت، وكلا الرأيين اجتهاد في ما لم ينزل به الله من سلطان. ولا مبرر لقول الخوئي: "هذه الرواية تدل على أن عبد الله بن الحسن كان قد نصب نفسه للإمامة وكان يفتي بغير ما أنزل الله". فقد كان عبد الله فعلا إماما، ولكنه لم يكن يدعي أنه إمام من الله، وليست فتاواه الاجتهادية مضادة لما أنزل الله، كما يتهمه الخوئي.

ولأن عبد الله المحض، لم يكن يعرف نظرية الامامة الإلهية التي اختلقها الرافضة في ذلك الزمان، ولم يدعها، فانه رشح ابنه محمد ليقوم بالثورة على الأمويين، وأسماه (المهدي) في مؤتمر الأبواء عام 125 وهذا ما يؤكده المؤرخون ومنهم الشيخ المفيد، وقد دعا عبد الله الامام الصادق لمبايعة ابنه محمد، ولكنه رفضها قائلا: "إن كنت إنما تريد أن تخرجه غضبا لله وليأمر بالمعروف وينهي عن المنكر فإنا والله لا ندعك - فأنت شيخنا - ونبايع ابنك في هذا الامر". وهذا اعتراف منه بمكانة عبد الله (شيخ الطالبيين) وأما ما ينسب اليه من أنه قال أيضا: "لا تفعلوا فإن هذا الامر لم يأت بعد، إن كنت ترى (يعني عبد الله،) أن ابنك هذا هو المهدي فليس به ولا هذا أوانه". فانه ليس بالضرورة ادعاء بعلم الغيب، وانما قد يكون تحليلا سياسيا من الصادق للظروف، واذا صح أيضا غضب عبد الله، وقوله: لقد علمت خلاف ما تقول ووالله ما أطلعك الله على غيبه، ولكنه يحملك على هذا الحسد لابني" فانه أيضا رأي شخصي، قد صدر في حالة غضب، ولا يشكل موقفا معاديا للصادق، وعلي أي حال فهو خلاف مؤقت لم يشكل مادة للعداء بين الطرفين، والدليل على ذلك ترضي الامام الصادق عليه وحزنه وبكائه على اعتقاله واعدامه بعد ذلك.

وهذا ما تؤكده أيضا رواية ابن طاووس "إن أبا عبد الله جعفر بن محمد (ع)، كتب إلى عبد الله بن الحسن - رضي الله عنه - حين حمل هو وأهل بيته يعزيه عما صار إليه: بسم الله الرحمن الرحيم إلى الخلف الصالح والذرية الطيبة من ولد أخيه وابن عمه: أما بعد فلإن كنت تفردت أنت وأهل بيتك ممن حمل معك بما أصابكم ما انفردت بالحزن والغيظة والكآبة وأليم وجع القلب دوني، فلقد نالني من ذلك من الجزع، والقلق وحر المصيبة مثل ما نالك..".

ولا ادري كيف اعتبرها الخوئي، بعد تصحيحها: بأنها من شواذ الروايات؟ وكيف حكم على عبد الله المحض بأنه مجروح مذموم، أو لم تثبت وثاقته وحسنه؟

ولو لم يكن الخوئي إماميا، لما اقشعر جلده من مكالمة عبد الله لأبي عبدالله. ولوجد فيها خلافا بسيطا بين زعيمين من زعماء أهل البيت.

ف 9 تضعيف محمد الديباج ابن الإمام جعفر الصادق

نظر الخوئي الى ابن الامام الصادق محمد الديباج الذي خرج بمكة سنة 199 ودعا لنفسه وتسمى بأمير المؤمنين، وبايعه الناس بالخلافة، نظرة سلبية، بناء على إيمان الخوئي بنظرية الامامة الاثني عشرية ، لأنه - حسب عقيدته - خرج على امام زمانه علي بن موسى الرضا (المعين من قبل الله) ولم يعترف به، وكأن نظرية الامامة كانت واضحة وثابتة ومعروفة من قبل أو في ذلك الزمان، ولم تكن نظرية سرية مغالية قال بها بعض الشيعة في زمن الصادق، ولم يوجد عليها أي دليل إلهي، كالنص من الرسول الأعظم (ص) أو المعجز، وأن مسألة تحديد هوية (الامام) كانت مسألة غامضة وشخصية، ولذلك أشار الامام الصادق الى ابنه إسماعيل كخليفة من بعده فتوفاه الله في حياته سنة 138 ثم ترك الأمر للأكبر من ولده، فأصبح امام الشيعة من بعده ابنه عبدالله الأفطح،

وعندما توفي دون عقب ذهب الشيعة الى أخيه موسى، دون أن يوجد عليه أي نص من الامام السابق. وعندما توفي موسى سنة 183 وقف عليه عامة الشيعة ولم يعترفوا بامامة الرضا، لعدم وجود نص عليه، ولأنه لم يكن لديه ولد لتستمر الامامة في عقبه، ولذلك شعر محمد الديباج بأنه يستحق الامامة وقرر القيام بثورة على المأمون في الحجاز، مستغلا ضعف الدولة العباسية بعد اقتتال الأمين مع المأمون، وحدوث الثورة العلوية الكبرى في الكوفة بقيادة محمد طباطبا وأبي السرايا. وبالتالي فان محمد الديباج لم يكن يعرف أية حجة شرعية على امامة الرضا الذي فضل التحالف مع المأمون وذهب الى خراسان لكي يصبح وليا لعهده.

واذا كان الديباج قد فشل في ثورته على المأمون، ووقع أسيرا بيد المعتصم الذي حمله إلى أخيه المأمون بخراسان ومات بجرجان سنة 203 فانه لم يكن فاسقا ولا عاصيا لامام زمانه، بل كان – كما يصفه الشيخ المفيد - سخيا شجاعا يصوم يوما ويفطر يوما، ولكنه يرى رأي الزيدية في الخروج بالسيف.

ولكن الخوئي بناء على إيمانه بنظرية الامامة، يتخذ من محمد الديباج موقفا سلبيا، ويتشبث ببعض الروايات الضعيفة متنا وسندا، فيقول: يظهر من ابطاء الرضا على عمه محمد، عند احتضاره، أنه لم يكن مرضيا عنده وموردا لعطفه ورأفته، ويدل على ذمه أيضا عدة من الروايات.

ويستدل الخوئي على ذم محمد الديباج برواية وردت في كتاب (عيون أخبار الرضا) فيقول: " منها ما رواه الصدوق عن أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني، قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن عمير بن يزيد (عمر بن زياد)، قال: كنت عند أبي الحسن الرضا، فذُكر محمد بن جعفر بن محمد (ع) فقال: **إني جعلت على نفسي أن لا يظلني وإياه سقف بيت،** فقلت في نفسي هذا يأمرنا بالبر والصلة، ويقول هذا لعمه، فنظر إلي، فقال: هذا من البر والصلة، **إنه متى يأتيني ويدخل علي فيقول فيّ يصدقه الناس، وإذا لم يدخل عليّ ولم أدخل عليه لم يقبل قوله إذا قال"**.

وبغض النظر عن بحث السند، فان تجنب الرضا للاجتماع مع عمه (الثائر الأسير) في خراسان، ربما كان حذرا من غضب المأمون. وعلى أي حال فان

تجنب الرضا للقاء عمه لا يشكل ادانة للديباج، الا وفق نظرية الخوئي بعصمة الرضا.

واستدل الخوئي أيضا على جرح الديباج ، برواية عن إسحاق بن موسى الكاظم، أنه قال: "لما خرج عمي محمد بن جعفر بمكة ودعا إلى نفسه، ودعي بأمير المؤمنين، وبويع له بالخلافة، ودخل عليه الرضا وأنا معه، فقال له: يا عم، لا تكذب أباك ولا أخاك، فإن هذا أمر لا يتم". وهذه الرواية ان صحت فانها لا تحمل أكثر من تحليل سياسي للموقف العسكري، وتنبؤ بانهيار الثورة.

وردد الخوئي بلا تحقيق إشاعة يتيمة ذكرها الصدوق في (عيون أخبار الرضا) تتحدث عن تأليب محمد الديباج هارون الرشيد على قتل اخيه الإمام موسى بن جعفر وانه دخل على هارون الرشيد، فسلم عليه بالخلافة، ثم قال له: ما ظننت أن في الأرض خليفتين، حتى رأيت أخي موسى بن جعفر يسلم عليه بالخلافة.

والرواية عن محمد بن إسماعيل بن جعفر، المتهم بهذه الوشاية. ولكن الخوئي يسارع لتبنيها في محاولة منه لاسقاط محمد بن جعفر، بأية وسيلة.

وكان الخوئي قد روى عن الصدوق والمفيد والكشي والطوسي وابن شهر آشوب قصة وشاية علي بن إسماعيل بن جعفر بعمه موسى الكاظم، مما يبرئ محمد الديباج عن دم موسى الكاظم، ويبعد تكرار الوشاية مرة ثانية.

وأخيرا يلجأ الخوئي الى حديث موضوع في القرن الرابع الهجري، هو (حديث اللوح) الذي يزعم نزول أسماء الأئمة الاثني عشر على رسول الله في لوح نوراني، عند ولادة الامام الحسين، وان النبي أعطى اللوح الى السيدة فاطمة الزهراء، وانها أرته الى جابر بن عبد الله الأنصاري، الذي قام باستنساخه وروايته فيما بعد.

ورغم أن الخوئي كان قد اعترف بجهل عامة الشيعة لهوية الامام بعد الامام، وذهاب بعضهم الى إسماعيل بن جعفر، وبعضهم الآخر الى عبد الله بن جعفر،

قبل ان يذهبوا الى موسى بن جعفر، وحاول تبرير البداء والارتباك الذي حصل في تحديد هوية بعض الأئمة بالغموض وعدم معرفة العامة بهم بقوله: إن "الروايات **المتواترة** الواصلة الينا من طريق العامة والخاصة قد حددت الائمة (ع) باثني عشر من ناحية العدد ولم تحددهم بأسمائهم (ع) واحدا بعد واحد حتى لا يمكن فرض الشك في الامام اللاحق بعد رحلة الامام السابق، بل قد تقتضي المصلحة في ذلك الزمان اختفائه والتستر عليه لدى الناس بل لدى أصحابهم (ع) **الا أصحاب السر لهم**، وقد اتفقت هذه القضية في غير هذا المورد". فان الخوئي تشبث هنا بحديث (اللوح النوراني) الموضوع في القرن الرابع الهجري، والذي يحدد أسماء الأئمة من قبل منذ زمن رسول الله (ص) وهو ما يتناقض مع تاريخ الأئمة الذين كانوا ينكرون نظرية الامامة، ويجهلون خلفاءهم، فيوصون الى بعضهم ويموتون في حياتهم كما حدث مع إسماعيل بن جعفر ومحمد بن علي الهادي، ولكن الخوئي اعتمد على رواية الصدوق لحديث اللوح، عن طريق محمد الديباج، لكي يتهمه بمخالفة ما يعرفه من امامة ابن أخيه علي الرضا.

وقال الخوئي، نقلا عن الصدوق:"... عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، عن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، قال: **حدثني عبد الله بن محمد بن جعفر، عن أبيه، عن جده،** ان محمد بن علي باقر العلم (ع)، جمع ولده وفيهم عمهم زيد بن علي، ثم أخرج كتابا إليهم بخط علي، وإملاء رسول الله' مكتوب فيه: هذا كتاب من الله العزيز الحكيم العليم، حديث اللوح إلى الموضع الذي يقول فيه، أولئك هم المهتدون (حديث اللوح تقدم قبل ذلك بقليل، وفيه أسماء الائمة) ثم قال في آخره: قال عبد العظيم، العجب كل العجب لمحمد بن جعفر وخروجه إذ سمع أباه يقول هكذا ويحكيه".

حديث اللوح السماوي

وقد روى الصدوق (حديث اللوح) بطرق وصيغ أخرى "... عَنْ أَبِي نَضْرَةَ قَالَ: لَمَّا احْتُضِرَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْبَاقِرُ، عِنْدَ الْوَفَاةِ دَعَا بِابْنِهِ الصَّادِقِ فَعَهِدَ إِلَيْهِ عَهْداً فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ زَيْدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ لَوِ امْتَثَلْتَ فِيَّ تِمْثَالَ الْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ لَرَجَوْتُ أَنْ لَا تَكُونَ أَتَيْتَ مُنْكَراً فَقَالَ يَا أَبَا الْحَسَنِ إِنَّ الْأَمَانَاتِ لَيْسَتْ بِالتِّمْثَالِ وَ لَا الْعُهُودَ بِالرُّسُومِ وَ إِنَّمَا هِيَ أُمُورٌ سَابِقَةٌ عَنْ حُجَجِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى ثُمَّ دَعَا بِجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

فَقَالَ لَهُ يَا جَابِرُ حَدِّثْنَا بِمَا عَايَنْتَ فِي الصَّحِيفَةِ، فَقَالَ لَهُ جَابِرٌ نَعَمْ يَا أَبَا جَعْفَرٍ دَخَلْتُ عَلَى مَوْلَاتِي فَاطِمَةَ لِأُهَنِّئَهَا بِمَوْلُودِ الْحَسَنِ فَإِذَا هِيَ بِصَحِيفَةٍ بِيَدِهَا مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ فَقُلْتُ يَا سَيِّدَةَ النِّسْوَانِ مَا هَذِهِ الصَّحِيفَةُ الَّتِي أَرَاهَا مَعَكِ قَالَتْ فِيهَا أَسْمَاءُ الْأَئِمَّةِ مِنْ وُلْدِي فَقُلْتُ لَهَا نَاوِلِينِي لِأَنْظُرَ فِيهَا قَالَتْ يَا جَابِرُ لَوْ لَا النَّهْيُ لَكُنْتُ أَفْعَلُ لَكِنَّهُ نُهِيَ أَنْ يَمَسَّهَا إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ وَصِيُّ نَبِيٍّ أَوْ أَهْلُ بَيْتِ نَبِيٍّ وَ لَكِنَّهُ مَأْذُونٌ لَكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى بَاطِنِهَا مِنْ ظَاهِرِهَا قَالَ جَابِرٌ فَقَرَأْتُ فَإِذَا فِيهَا...".

وبغض النظر عن ضعف سند هذه الرواية التي تنطوي على مجاهيل، فانها تزعم وجود جابر الأنصاري حيا سنة 114 عند احتضار الباقر، مع انه توفي عام 78 أي قبل الحادثة بعشرات السنين. بالإضافة الى تضمنها رفض الزهراء مس جابر للوح، على عكس روايات أخرى يقول جابر فيها:" فأعطتنيه أمك فاطمة فقرأته و انتسخته".

ف 10 تضعيف الحسين شهيد فخ، ومدح الثائر العلوي يحيى بن عبد الله

كما رأينا في الفصول الماضية، فان الخوئي يتخذ موقفا سلبيا من جميع العلويين الذين لم يكونوا يؤمنون بنظرية الامامة الإلهية، وكانوا يقودون الثورات المختلفة ضد العباسيين، فاما ان يضعفهم واما ان يتوقف فيهم ولا يوثقهم، او يضعف الروايات الواردة في مدحهم، بناء على موقفهم من الأئمة، ومن أولئك الذين اتخذ موقفا سلبيا منهم: العلوي الحسين بن علي بن الحسن المعروف **بصاحِب فِخ**، الذي قُتل بموقعة فخ في ذي الحجة يوم التروية سنة 169

والذي نعاه الشاعر الشيعي دعبل الخزاعي في قصيدته التائية، التي قرأها على الامام الرضا ، وفيها:

أَفاطِمُ قُوْمي يا ابْنَةَ الْخَيْرِ وَانْدُبي نُجُومَ سَماوات بِأَرْضِ فَلاةِ

قُبُورٌ بِكُوفان وَأُخْرى بِطيبَة وَأُخْرى بِفَخٍّ نالَها صَلَواتي

وكان الحسين شهيد فخ قد خرج سنة تسع وستّين ومائة بالمدينة وبايعه فيها كثير من الشيعة، ثمّ خرج إلى مكّة فدخلها، فسار إليه سليمان ابن جعفر والتقى الطرفان بفخٍ، فتقاتلا، فقتل الحسين في يوم التروية سنة تسع وستّين ومائة، وجلب رأسه إلى الهادي الخليفة العبّاسي

ونقل البخاري النسابة عن الامام محمد الجواد أنّه قال: "لم يكن لنا بعد الطفّ مصرع أعظم من فخّ".

وروى أبو الفرج الأصفهاني، وابن جرير الطبري، أنّ الحسن بن علي الفخي دعا إلى الرضا من آل محمّد في بيعته. ، وانه قال: "ما خرجنا حتّى شاورنا أهل بيتنا وشاورنا موسى بن جعفر، فأمرنا بالخروج". ولذلك فان موسى الهادي العبّاسي قال متوعّداً الإمام موسى الكاظم بعد مقتل الحسين الفخي: "والله، ما خرج حسين إلّا عن أمره، ولا اتبع إلّا محبّته؛ لأنّه صاحب الوصية في أهل هذا البيت، فتلني الله إن أبقيت عليه". كما يقول السيّد ابن طاووس في (مهج الدعوات) في قصّة دعاء الجوشن عن الإمام موسى الكاظم.

وقد نقل الخوئي في ترجمة الحسين الفخي عن الشيخ الطوسي، أنه كان من أصحاب الصادق، ثم قال: "ورد في عدة روايات ما يدل على حسنه، ولكنها بأجمعها ضعيفة لا يعتمد على شيء منها". وعزز رأيه السلبي في شهيد فخ برواية الكليني عن عبد الله بن المفضل قال: لما خرج الحسين بن علي المقتول بفخ واحتوى على المدينة، دعا موسى بن جعفر(ع) إلى البيعة فأتاه، فقال له: يا ابن عم لا تكلفني ما كلف به ابن عمك عمنا أبا عبد الله، فيخرج مني ما لا أريد، كما خرج من أبي عبد الله ما لم يكن يريد، فقال له الحسين: إنما عرضت عليك أمرا فإن أردته دخلت فيه و إن كرهته لم أحملك عليه و الله المستعان. ثم ودعه، فقال له أبو الحسن موسى بن جعفر(ع) حين ودعه: يا ابن عم إنك مقتول فأجد الضراب فإن القوم فساق يظهرون إيمانا ويسرون شركا، وإنا لله وإنا إليه راجعون، أحتسبكم عند الله من عصبة. ثم خرج الحسين، وكان من أمره ما كان قتلوا كلهم، كما قال (ع).

وحسب هذه الرواية، فان الامام موسى الكاظم، كان مؤيدا للثورة على الخليفة الهادي، ولكنه اتخذ موقفا محايدا، ولم يشارك فيها. ولكن الخوئي حاول تضعيف هذه الرواية وقال: "هذه الرواية ضعيفة السند أيضا ولا يعتمد عليها". وذلك لأنها كما يبدو تتضمن دعوة الحسين للكاظم لبيعته، مما يعني عدم الاعتراف بامامته. وهذه خطيئة كبرى في نظر الخوئي، الذي يعد من لا يؤمن بالامامة كافرا في الواقع، وان كان مسلما في الظاهر.

الخوئي يمدح الثائر يحيى بن عبد الله

وفي الوقت الذي يشكك الخوئي في الروايات المادحة لشهيد فخ، فانه يمدح أحد أعوانه الذين شاركوه في الثورة، ثم حمل الراية بعده، وهو يحيى بن عبد الله

بن الحسن الذي هرب إلى بلاد الديلم فظهر هناك، واجتمع عليه الناس و بايعه أهل تلك الأعمال، وعظم أمره في أيام هارون الرشيد حتى احتال عليه وكتب له الأمان، ثم اعتقله ومات في حبسه.

وبالرغم من أن الخوئي يروي عن الكليني في الكافي عن عبد الله بن إبراهيم بن محمد الجعفري، أن يحيى بن عبد الله بن الحسن كتب إلى موسى بن جعفر(ع): رسالة يدعوه فيها الى الالتحاق به وتأييده، فلم يستجب موسى، مما دفعه لمخاطبته بعنف: "أما بعد فإني أوصي نفسي بتقوى الله و بها أوصيك، فإنها وصية الله في الأولين و وصيته في الآخرين، خبرني من ورد علي من أعوان الله على دينه ونشر طاعته، بما كان من تحننك مع خذلانك، و قد شاورت في الدعوة للرضا من آل محمد(ص)، و قد احتجبتها واحتجبها أبوك من قبلك، و قديما ادعيتم ما ليس لكم، وبسطتم آمالكم إلى ما لم يعطكم الله، فاستهويتم و أضللتم، و أنا محذرك ما حذرك الله من نفسه. (الحديث).

الا ان الخوئي يشكك بصحة هذه الرواية ويقول: "ولكن هذه الرواية غير صحيحة، فلا يمكن الاعتماد عليها، فإن رواتها ضعفاء جدا، فإنهم بين ضعيف و مجهول، إلا عبد الله بن إبراهيم بن محمد الجعفري، فالصحيح أن الرجل من الممدوحين". ويضيف: "وكيف كان، فالمتحصل مما ذكرنا أن الرجل ممدوح، وقد قتل مظلوما شهيدا، ولكن المجلسي (قد سره) ذكر في المرآة أن صاحب الديلم مجهول، والظاهر أنه استند في ذلك إلى ما ورد في ذمه، وعدم إذعانه بأهل بيت العصمة والطهارة (ع)".

ولم يذكر الخوئي ما ورد في الكافي من ذم يحيى، بل اقتطع الرواية السابقة، ولم يذكر جواب الكاظم ليحيى، وهو كما يلي:" " من موسى بن أبي عبد الله جعفر وعلي مشتركين في التذلل لله وطاعته إلى يحيى بن عبد الله بن حسن، أما بعد فإني أحذرك الله ونفسي وأعلمك أليم عذابه وشديد عقابه، وتكامل نقماته، وأوصيك و نفسي بتقوى الله فإنها زين الكلام وتثبيت النعم، أتاني كتابك تذكر فيه أني مدع وأبي من قبل، وما سمعت ذلك مني وستكتب شهادتهم ويسألون، ولم يدع حرص الدنيا ومطالبها لأهلها مطلبا لآخرتهم، حتى يفسد عليهم مطلب آخرتهم في دنياهم، وذكرت أني ثبطت الناس عنك لرغبتي فيما في يديك وما منعني من مدخلك الذي أنت فيه لو كنت راغبا ضعف عن سنة ولا قلة بصيرة بحجة، ولكن الله تبارك وتعالى خلق الناس أمشاجا وغرائب

وغرائز ... وأنا متقدم إليك أحذرك معصية الخليفة وأحثك على بره وطاعته وأن تطلب لنفسك أمانا قبل ان تأخذك الأظفار ويلزمك الخناق من كل مكان، فتروح إلى النفس من كل مكان ولا تجده، حتى يمن الله عليك بمنه وفضله ورقة الخليفة أبقاه الله فيؤمنك ويرحمك ويحفظ فيك أرحام رسول الله والسلام على من اتبع الهدى، إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى".

وبغض النظر عن حقيقة نوايا الكاظم، فانه لا يمكن التشكيك بالمقطع الأول من الرواية التاريخية، وهو رفع يحيى للواء الثورة وادعاء الامامة، وتوجيه اللوم والنقد القاسي لموسى بن جعفر على تقاعسه عن نصرته، كما فهم المجلسي من رسالة يحيى واتخذ منه – بناء على ذلك - موقفا سلبيا، على عكس الخوئي الذي مدحه ضاربا عرض الحائط بمنهجه في تضعيف من لا يؤمن بنظرية الامامة أو يخرج مدعيا الامامة لنفسه، كما فعل مع شهيد فخ.